نحو مجتمع بلا إدمان ولا مخدرات
الإسلام هو الحل

د. توفيق يوسف الواعي

مقدمة

اقتنعت الإنسانية بعد تعب ولأي باحترام الذاتية البشرية والمحافظة عليها، وتفهمت بعد جهد ونصب احترام الإرادة الإنسانية الفكرية والعقلية، ولكنها وللأسف الشديد لم تستطيع أن توجد قوانين عامة تسري على كل الشعوب والأجناس، تحفظ احترام الذاتية والإدارة الإنسانية، كما أن من يدّعون القدرة على الوصول إلى أساليب لحفظ ذلك في الإنسان لم يستطيعوا أن يهتدوا إلى الأسلوب الأمثل إلى اليوم في صيانة الذاتية والإرادة الإنسانية لأنفسهم، فضلاً عن غيرهم، وقد أقر كثير من العلماء والباحثين أن هذا الأسلوب ما زال حلماً وخيالاً وأملاً للجميع إلى اليوم، وأن كثيراً من المشاكل المستعصية في هذا العصر يتوقف حلها على وجود هذه القوانين والأساليب القادرة.

وفاتهم أن رب الإنسان لم يتركه سدى تتقاذفه الأهواء وتسيطر عليه الشهوات وتستعبده. فقد جاء الإسلام ترجمة صادقة لاحترام الإرادة الإنسانية، وقانوناً واضحاً لسلامة الذاتية الإنسانية وحياتها، حذر من مسها بسوء، فحرم إهلاك النفس أو إتلافها بفعل الغير أو بعمل الإنسان نفسه، كما حرم ما يؤدي إلى إتلافها من الخبائث.

كما حرم قهر الإرادة بالإجبار أو الإكراه، أو الاستعباد أو بالإدمان على ما يسلب الإرادة أو يقهر النفس، كالمخدرات والخمور.

عرف هذا من عرف الإسلام وكان عنده عقل أو ألقى السمع وهو شهيد.

يقول توينبي عالم الحضارة الإنجليزي:

«إن الإسلام قادر على حل المشكلات العصرية مثل مشكلة الخمر والمخدرات مع أنهما من أعتى المشاكل التي يواجهها العالم المعاصر وأعصاها على الحل، كما يستطيع الإسلام أن يدلي بدلوه في حل مشكلة الفوضى الجنسية التي تجتاح العالم اليوم، ومشكلة تفكك الأسرة ومشكلة جنوح الأحداث، ومشكلة شعور الشباب بالقلق والضياع، وغيرها من المشاكل الاقتصادية، والاجتماعية التي تواجه المجتمع المعاصر[1].

نعم فالإسلام يحمي الإرادات والذاتيات البشرية من كل سوء، وكل مستعبد ومهلك كما أنه قادر على حل جميع المشكلات المعاصرة وها نحن في هذا البحث المتواضع نلقي الضوء على الحل الإسلامي لمشكلة برزت كوباء في العالم اليوم، وهي مشكلة الإدمان على المخدرات، واللّه نسأل أن يوفق إلى الخير وأن ينجح القصد إنه سميع مجيب.

(١) ماذا يعطي الإسلام للبشرية. محمد قطب ط دار الرعاية الإسلامية من محاضرة ألقاها العالم تويني ١٩٤٨ بعنوان «الإسلام والغرب والمستقبل».

المبحـــث الأول

طبيعة الإنسان:

لا شك أن طبيعة الإنسان الذي استخلف لعمارة الأرض لا بد أن تكون طبيعة خيرة قويمة، لها من الصفات ما تستطيع به غرس بذور الفضيلة والاستقامة في الحياة. وبنفس هذا القدر من الصفات لا بد وأن تكون عظيمة جديرة بالاحترام والإجلال، ولهذا ما فتيء القرآن بين الحين والآخر يوقظ فينا هذا الشعور ويزكي في تخيلنا هذا الإحساس ويؤصله، فهو لم يقرر فقط أن اللَّه كرم الإنسان وبسط سلطانه على الأرض، وعلى البحار ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾[1] كما لم يقصر فضل اللَّه سبحانه على أن أمر الملائكة أن تسجد أمام آدم عليه السلام، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟﴾[2] وإن كان ذلك درجة سامقة رفيعة مبهرة يؤكد عليها القرآن في مواطن كثيرة، ولكنه يزيدها تشريفاً وإجلالاً بنسبة الخلق إليه سبحانه ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟﴾[3] ثم يزيد الصورة إشراقاً على إشراق، ونوراً على نور بمنحه قبساً من روحه سبحانه ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾[4] هكذا تزيده روح الحق شرفاً وتيهاً وسيادة وتكريماً ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا

(١) الجاثية- ١٣.

(٢) البقرة- ٣٤.

(٣) الأعراف- ١١.

(٤) الحجرات- ٢٩.

بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾[1].

تنوع ملكات الإنسان واتجاهاته:

تتنوع اتجاهات الحياة ودروبها وتتعدد مقاصدها وأشكالها، فكان لا بد أن يكون الإنسان متعدد الملكات، والمواهب والنزعات حتى تعمر الحياة، وجاء القانون الإلهي ليضبط تلك الملكات وينظم هذه المواهب، ويهذب تلك النزعات، حتى يستفيد منها الإنسان، وتعمر بها الحياة بغير فساد أو إرهاق أو إعنات: وقد أوضح القرآن هذه الحقيقة فقال: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[2]،وقد نبه اللّه الإنسان إلى الحقيقة والخطر معاً، إلى الحقيقة في خلقه وتنوع اتجاهاته، والخطر في استغلال هذا التنوع في الاتجاهات بغير هدى من اللّه. ﴿**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**﴾ ولم يهلك من الإنسان بعد ذلك إلا الجاحدون الآثمون الذين لا يؤدون متطلبات المنهج الرباني، ثم قال سبحانه:﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[3].

أي لم يهلك إلا الذين أغلقوا عقولهم وتمردوا على فطرهم فأصبحت ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[4].

---

(١) الإسراء- ٧٠.

(٢) طه- ١٢٣- ١٢٦.

(٣) التين- ٤.

(٤) الأعراف- ١٧٩.

ثم كان من كرامة الإنسان على اللّه أيضاً أن جعله مختاراً يملك أمره ويجدد وجهته بنفسه.

قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[1] فالأمر إذن اختيار إنساني دنيوي، لا علوي، وهو يرجع إلى استخدامنا الحسن أو السيء لملكاتنا العليا، وهي ملكات يزكي تثقيفها النفس، كما يدسيها ويطمسها إهمالها. فيتلخص من هذا أن الإنسان قد وهبه اللّه عقلاً وبصراً وأذناً يستطيع بها أن يتدبر الأمور، يعينه على ذلك طبيعته الخيرة ورسالته ومنهجه الرباني العظيم، وإذا كان الأمر كذلك ألا يمكن للإنسان أن يملك كثيراً من الوسائل العقلية والتجارب العملية، التي تمكنه من التمييز بين الحق والباطل وبين ما يجب أن يفعل وما يجب أن يدع. وقد ننظر إلى حديث وابصة مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم في ضوء تلك الحقيقة: «يا وابصة استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في القلب وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك»[2] وهذا يعني أن هناك طبيعة خيّرة يمكن أن تعين الإنسان على معرفة الصواب والخطأ وفي هذا يقول «كانت»: إننا مشرعون ورعايا في آن واحد، وأن التجربة الأخلاقية للندم لتؤكد هذا الازدواج، فنحن عندما نقصر في واجبنا نحسن أننا قد هبطنا إلى مستوى غير خليق بنا، ونعترف ضمناً أننا مخلوق نبيل قد زلّ»[3] وعلى هذا فإذا كانت فكرة الخير والشر قد حددت عقلاً على أنها «صفة كمال أو نقص» موافق للطبع أو مخالف، مستحق للمدح أو الذم، فإن العلماء المسلمين لم يجدوا صعوبة في أن يقرروا صلاحية الإنسان للنظر

(١) الشمس- ٧- ٢٠.

(٢) أخرجه البخاري في التاريخ، ورواه أحمد والدارامي في السنن وقال النووي في رياضه إسناده حسن، في فيض القدير ٢٩٦/١.

(٣) Kant. Critique de la Rasion pratique, P. 91 عن دستور الأخلاق وانظر دستور الأخلاق في القرآن للدكتور عبداللّه دراز طمؤسسة الرسالة ودار البحوث العلمية الطبعة الثانية سنة ١٩٨٠ ص٢٨.

والترجيح وتقرير الحسن والقبح بحسب عقله، بحيث لا يصادم التشريع بل يتمشى مع نصوصه أو مع الفهم عنها، أو مع مقاصدها إن فقدت تلك النصوص.

وباتباع نصوص المنهج واهتداء العقول بها. نكون، قد تلافينا سيطرة الشهوة على العقول، وتحاشينا تناقض العقول وتضاربها، لأن النص سيحدد الصحيح العقلي ويجنب المرجوح أو الموهوم. ولقد أحس الغربيون بالحيرة عندما تحاكموا إلى العقل فقط فاصطدموا بتناقض العقول، فقالوا بالسلطة الفاصلة التي تعصم من التناقض.

ولهذا أبصر «كانت» الصخرة التي تصطدم بها الأخلاق القائمة على الضمير الفردي فقط، فقال: والواقع أنه من المستحيل عند بلوغ درجة معينة، أن نسن قانوناً يفرض باعتباره ضرورة على كل الضمائر، كيف أضحى باقتناعي من أجل اقتناعك؟

إن من الضروري إذن أن نلحأ إلى سلطة عليا لحسم الخلاف، ولن يكون الحل بكل تأكيد أن نعترف بهذه السلطة للمجتمع، إذ كان الأمر أمر أخلاقية، لا أمر شرعية هنا نلمح الدافع السليم الذي حدا بكانت أن يلتمس هذا التشريع من سلطة أعلى تتوفر لها صفتان: الأخلاقية والشمول[1]. وإذن فالناس محتاجون على وجه التحديد إلى قاعدة صالحة للتطبيق على فطرتهم، يستطيع الإنسان أن يطمئن إليها ولا تمزق فطرته وتصيبه بالفصام النكد الذي يتعرض له من قوانين العقول الملوثة بالشهوات. ولن يكون ذلك إلا بمنهج اللّه سبحانه الذي يوافق الفطر التي غرست فيها الحنيفية السمحة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾[2]

هل نحن صناع لثوابنا أو شركاء في شقائنا:

إذن فنحن من هذا المنطق، وعندنا العقل وفي يمننا المنهج ـ نستطيع أن نقرر

(١) Kant, crit. de la R. part, preface, p.6 انظر المرجع السابق ص٣٣.

(٢) الأعراف ١٧٢

بأن لدى جميع الناس قوة متساوية على فعل الخير إن أرادت، وعلى عمل الشر إن رغبت، وبأن هذه القوة توجد عند الفرد الواحد وعند الجماعة في مختلف الظروف، وأنها باستطاعتها أن تقاوم الخير إن أحبت، وأن تجالد الشر وتتأبى عليه إن عزمت ورغبت.

ولقد أثبتت التجربة في الواقع العملي أن أكثر الإرادات اعتدالاً تحس في غمار عملها وأمام التحدي، بأنها قادرة على أن تقاوم مقاومة عنيفة تأثير الغرائز الأولية ونوازع التسلط، وتهديدات الظروف الخطرة، راضية أن تضحي بأغلى ما تملك لتموت شهيدة في سبيل الحق والدفاع عنه.

كما أثبتت التجربة في الواقع العملي عكس ذلك فقام رجال بإرادات صلبة تقاوم الحق وتنشر الباطل وتضحي في سبيله بالنفس والنفيس.

وقد أثبت القرآن ذلك، ونفى كل إجبار للإرادة الإنسانية، سواء إلى الخير إو إلى الشر، فقرر على لسان الشيطان ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾[1].

ويقول فيمن اتبع هواه: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾[2].

ويقول: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْاْ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾[3].

ويقول: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[4].

ونفى بالإكراه كل إثم وعقاب لإرغام الإرادة الحرة على ما لم تقبله فقال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[5] وقال:

(١) إبراهيم- ٣٢.
(٢) الأعراف- ١٧٦.
(٣) الصافات- ٦٩.
(٤) الكهف- ٢٩.
(٥) النحل- ١٠٦.

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[1] ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2] وكذلك يعفى عن الدعارة الشائنة إذا أكره المرأة عليها مولى مستبد ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

أمـــــراض الإرادة:

تمرض الإرادات والقلوب كما تمرض الأبدان، ويصيبها العطب والفساد وتتسلل إليها جراثيم العلل المختلفة، فتهلكها وتذهب قواها، وقد صرح القرآن في كثير من الآيات بهذه الأمراض فقال ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾[4] تسللت الجراثيم إلى قلوبهم فأصابتها بالعلل، والمرض ينشىء المرض، والانحراف يبدأ يسيراً والعطب يبدأ قليلاً ثم لا يلبث إلا أن يستشري. والمرض كما قال العلماء: كل ما يخرج به الإنسان عن حد الصحة من علة أو نفاق أو تقصير في أمر اللَّه[5].

فاهتزاز الشخصية مرض ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾[6] والغرور مرض، والهوى مرض، والكسل مرض، والذلة مرض، تنظر إلى هذه الأمراض التي في القلوب فتراها تفعل بها الأفاعيل، تمرغها في الأحوال وتزيدها رجساً على رجس ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾[7] ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى

(١) البقرة- ١٧٣.
(٢) النحل- ١٥.
(٣) النور- ٣٣.
(٤) البقرة- ١٠.
(٥) فتح القدير للشوكاني ٤١/١.
(٦) المائدة- ٥٢.
(٧) التوبة- ١٢٥.

ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾[1].

وقد عبر القرآن عن ظلمة السجايا والطبع والانحراف بالمرض لأنه يفتك بالإرادة والعقل والفهم والاعتدال كما تفتك الجراثيم بالجسد.

قال ابن الأعرابي: أصل المرض النقصان. يقال: بدن مريض أي ناقص القوة، وقلب مريض أي ناقص الاعتدال والفهم والإرادة، وقيل: المرض إظلام الطبيعة واضطرابها بعد صفائها واعتدالها، وأرض مريضة إذا كثر بها الهرج والفتق والقتال قال أوس بن حجر:

ترى الأرض منا بالفضاء مريضة معضلة منا بجمع عرمرم

ورأي مريض فيه انحراف عن الصواب[2].

فالآثام على هذا انحراف عن الصواب وهي أمراض، تبعد الإنسان عن المنهج الصحيح وتغطي على إشعاعات الفهم وأضواء الحكمة، وصدق الله ﴿**كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون**﴾ فيصبح الإدراك ضالاً، والفهم سقيماً، والذوق مراً، فتستهويهم الضلالات وتتناوشهم الشياطين بما كسبوا ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾[3] وبعد الصد والانحراف وبعد الصحبة للآثام يأتي التزيين والتمكين للانحراف ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾﴾[4].

فهي أي النفس مستعدة للعماء، لأنها طمست منافذ الإدراك فيها، ومشيئته سبحانه نافذة، وفق سننه التي طبعت النفس البشرية عليها -في حالة الاهتداء والعماء، ومن ثم يقول القرآن عن الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴿**زينا لهم أعمالهم فهم**

(١) الحج - ٥٣.

(٢) انظر مصائر ذوي التمييز ٤٩٣/٤.

(٣) النمل- ٤.

(٤) الزخرف- ٣٦.

يعمهون﴾ فنفذت سنة اللّه فيهم في أن تصبح أعمالهم وشهواتهم مزينة لهم حسنة عندهم فهم يعمهون، لا يرون ما فيها من شر وسوء ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1].

وهذه طبيعة خلق اللّه الناس بها. أن كل من عمل عملاً واعتقده وشغل قلبه به فإنه يستحسنه ويدافع عنه، فإن كان على الهدى رآه حسناً وإن كان على الضلال رآه حسناً كذلك. ﴿**أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً**﴾ نعم زين له سوء عمله فتعاطاه انقياداً لشهوته وإعراضاً عن صواب الحق لاستيلاء شهوته عليه.

الآثام أمراض اجتماعية:

لا شك أن الآثام انحراف في البنية الفكرية، وتعديات في البيئة الاجتماعية وتجاوزات في السلوكيات الإنسانية.

النفس المختلة تثير الفوضى في أحكم النظم، تستطيع النفاذ فيه إلى أغراضها الدنيئة ومن هنا كان الإصلاح النفسي الدعامة الأولى لبناء مجتمع قوي، فإذا لم تصلح النفوس أظلمت الآفاق، وسادت الفتن حاضر الناس ومستقبلهم، إن النزعات الطائشة لا بد أن تشرد بالمجتمعات عن الجادة، وتزين لها فعل ما يعود عليها بالمحق والخسران المبين، حتى تصرفها عن كل نافع مفيد وصدق اللّه ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾[2].

إن الطباع الرديئة تحاول دائماً الإلحاح على أصحابها بعوج السلوك بين الحين والحين، وهي في رتعها الدائم للآثام لا تبالي بارتكاب السيئات واقتراف المظالم وإشاعتها بين الناس وإفساد المجتمعات، ومن الذي يبقى على تقويمه الحسن وينجو

(١) الأنعام- ١٠٨.

(٢) الأعراف- ١٤٦.

من الارتكاس في الدنيا السافلة. فالأمم والأفراد التي تمرض بتلك الآثام لا بد وأن تذوق ما تذوق من هوان وتتجرع ما تتجرع من ألوان العقاب. لماذا؟

لأنها ولغت في الآثام وعتت عن أمر ربها: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾﴾[1].

ومن استقرأ التاريخ أنباه بالخبر اليقين وجاءه بالحق المبين. ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾﴾[2].

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾﴾[3].

وما انهارت الحضارات السابقة وفسدت مجتمعاتها إلا بشرودهم عن السبيل الصحيح.

---

(١) الطلاق..

(٢) التغابن- ٥.

(٣) الحشر- ١٥.

المبحث الثاني
المخدرات آثام وآلام

الإنسان ثروة الأرض والمستخلف فيها:

ليس هناك من شيء أعز من الإنسان على ظهر الأرض، فقد كرمه اللّه غاية التكريم ورفعه وسخر له كل شيء وأسجد له ملائكته وبعث إليه رسله مبشرين ومنذرين، فهو سيد الأرض والخليفة عن اللّه فيها وكل ما على ظهرها وما في أرجائها مسخر له ومذلل وساكن له وخاضع.

فالإنسان إذن هو ثروة الأرض الحقيقية ونفحة الحق الربانية الآدمية، فيجب المحافظة عليه وترشيده وهدايته، وقد وردت الإشارة إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[1].

ولهذا اقتضى الأمر أن يبعده اللّه عن كل الفواحش والسيئات والمهلكات قال تعالى: ﴿**قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق**﴾.

واقتضى كذلك إحاطته بسياج واق ودعامات حافظة حتى لا يهلك أو يضيع، وقد حدد العلماء هذه الدعائم بخمسة أشياء:

أولها: الدين الذي هو قوام الحياة والذي يسمو الإنسان به ويرتفع عن حيوانيته، كما أن الدين هو سياج التعاليم القويمة والبصائر العظيمة التي تهدي إلى الصراط المستقيم.

---

(١) الإسراء. ٧٠.

ثانيها: النفس ـ والمحافظة على النفس هي المحافظة على حق الحياة الكريمة العزيزة وحمايتها من الاعتداء عليها بالإيذاء أو القتل أو القطع أو غير ذلك مما يؤذي الجسد ويزهق الروح.

ثالثها: العقل ـ والمحافظة على العقل تكون بحفظه من تناول المهلكات والمتلفات والمسكرات والمفترات.

لأن المحافظة على العقل هي المحافظة على كيان الإنسان كله فالإنسان بدون العقل لا فائدة في وجوده، بل يكون كلا على غير وعلى سواه إلى أن يموت وعقل الفرد ليس ملكاً له وحده وإنما هو ملك له لأسرته ومجتمعه والبشرية، ولهذا كان الحفاظ على نفس الإنسان وعقله محافظة على البشرية جمعاء وإهلاك ذلك إهلاك لها.

من أجل ذلك قرر الحق سبحانه بأنه ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[1] .

إذن فمن يعرض عقله للضياع أو العطب أو الآفات بتناول المسكرات أو المخدرات، يكون قد جنى على نفسه وعلى أسرته ومجتمعه وعلى البشرية جمعاء. ولهذا كان من حق الشرع والأسرة والأمة والمجتمع، أن يتعاونوا على إبعاد هذه المهلكات والمسكرات عن طريق الإنسانية، وعلى ترشيد خطوهم وعملهم حتى لا تقع الإنسانية فريسة الإنهاك، والضياع والتشرذم والفساد.

رابعاً: النسل ـ ويقتضي ذلك حفظ الأعراض ومنع الاعتداء عليها وتنظيم شهوة الفرج حتى لا يتمزق الإنسان ويهلك.

خامسها: المال ـ بمنع الاعتداء على الأموال والمحافظة عليها وعلى جهد الإنسان وتعبه وقوام حياته. فحرم السرقة الغصب وأكل أموال الناس بالباطل.

---

(١) المائدة ـ ٣٢ .

المخدرات ضياع لكل شيء:

ضياع للديـــن: وضياع للعقل وضياع للقواعد كلها.

فإن شارب الخمر لا يشربها حين يشربها وهو مؤمن. كما ورد في الحديث الصحيح، وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلم: «مدمن خمر كعابد وثن» رواه ابن ماجه كتاب الأشربة رقم ٣٣٧٥[١].

وعن أبي الدرداء عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم قال: «لا يدخل الجنة مدمن خمر» رواه ابن ماجه[٢].

وعن ابن عمر رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلم قال: «من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة» رواه الجماعة إلا الترمذي[٣].

ضياع للنفس: فإن الذي يتلف عقله بالخمر أو المخدرات يتلف نفسه وسيأتي ما تفعله المخدرات بمتعاطيها ومقترفها، حيث تقتضي عليه وعلى سعادته وحياته، فتتلف الجهاز الهضمي من أول التهاب المريء إلى قرحة المعدة إلى التهاب البنكرياس والكبد، كما تتلف القلب والدورة الدموية، وتأتي بأمراض فقر الدم، إلى غير ذلك من الأمراض القاتلة.

ضياع للنسل، وهتك للعرض: وكثيراً ما تشرب الخمر على الموائد الحمراء لتسلب الفضيلة والشرف، وتسهل البغي والدنس، وحين تفقد العقول، يعتدى على الأعراض وتُهتك الحرمات، ولا يكون هناك وازع ولا رقيب، فهي والانحراف الجنسي قرينان.

---

(١) أخرجه ورواه ابن ماجه كتاب الأشربة باب مدمن الخمر رقم ٣٣٧٥ وفي الزوائد محمد بن سليمان وقد ورد عن ابن عباس من طريق آخر: طب، حل. ضعفه النسائي.

(٢) سنن ابن ماجه ١١٢٠/٢ رقم ١٣٣٧٦ ونيل الأوطار ١٩٠/٨ ورمز له ابن ماجه وقبال إسناده حسن.

(٣) ف خ ١٢٧/١٢/م ١٠١/٦ ماجه ٩١١١/٢ نيل الأوطار ١٩٠/٨ .

ضياع للمال: وضياع العقل بالمخدرات لا شك أنه من أكبر الأسباب التي تخرب الاقتصاد، فهي

أولاً: تقضي على القوى الحيوية في الإنسان فيصاب بالخمول والكسل والوهن، كما تتسبب في عدم التركيز والتفكير السليم الذي يحسن الأشياء ويدعو إلى رواج الصناعات والتجارة والحرف.

ثانياً:

فالمخدرات دائماً تكون غالية الثمن باهظة التكاليف تكلف صاحبها أعباء جسيمة ومصاريف فادحة. ودائماً ما يكون المدمنون فقراء معوزين. فكم من أغنياء موسرين فقدوا أموالهم وثرواتهم بسبب شرب الخمر والإنفاق على البغايا الساقطات المنحرفات. وكثيراً ما يضطر المدمن إلى السرقة أو الاختلاس لتغطية نفقاته الباهظة التي لا يجد ما يسدها أو من يعينه عليها.

فكانت الخمر والمخدرات بحق أم الخبائث وصدق عثمان بن عفان رضي اللَّه عنه «اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث».

ويقول علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه «إذا شرب الرجل سَكِرَ، وإذا سَكِرَ هَذَى وإذا هَذَى افترى -قذف وسب-».

ولهذا كانت المسكرات هي الآفة التي تقضي على الشعوب وعلى العقول الشابة فيها، وكانت سلاحاً قوياً في يد الاستعمار استعمله في كثير من الشعوب وما زال يستعمله في بعض البلدان المتخلفة، ويشجع عليه ويتستر على مروجيه، وليس بخاف على أحد ما أصاب المسلمين من بلاء الإدمان، ومن الانحلال الخلقي ومن التحلل من القيم ومن قيود الدين الحنيف الذي حفظ على الأمة الإسلامية رجولتها وعفتها وعزتها زمناً طويلاً.

من آثام العصر إدمان المخدرات:

لعل من أخطر الآثام في هذا العصر الإدمان على المخدرات، فقد جمعت

الأضرار ما جعلها بحق وباء العصر، وجمعت من أساليب الاستعباد والقهر ما جعلها بتأكيد شيطان هذا الزمان، تنوعت موادها وأسماؤها وأضرارها وأساليبها وطرقها في الاصطياد والفتك، كما تتنوع حيل وأساليب الأبالسة في الاحتيال والهلاك.

حديث العلماء عن المخدرات:

كانت المخدرات قديماً تحصر في أسماء وأنواع معينة يمكن حصرها والتغلب على تداولها فقد ذكر الإمام القرافي في كتاب الفروق أنواعاً من المخدرات وصنفها حسب تأثيراتها في الإنسان فقال:

«فالمسكر: هو الذي يغطي العقل ولا تغيب معه الحواس «كالخمر» ويتخيل صاحبه كأنه نشوان مسرور قوي النفس شجاع كريم.

والمرقد: هو الذي يغيب الحواس. كالسمع والبصر والشم والذوق وللمس كالبنج.

أما المفسد: فهو المشوش للعقل كالحشيش والأفيون وسائر المخدرات والمفترات التي تثير الخلط الكامن في البدن ولذلك تختلف أوصاف مستعملها»[1] هذا وقد اكتشف الفقهاء مضار المخدرات من قديم. فقال الإمام بدر الدين الزركشي: «ذكر بعضهم أنه جمع في مضارها في العقل والبدن، مائة وعشرين مضرة دينية ودنيوية: ثم عددها، نذكر منها على سبيل المثال: أنها تفسد العقل، وتحرق الدم، وتنتن الفم، وتضر الأحشاء، وتقوي الهوس، وتكسب الكسل، وتورث الفشل، وتجعل الأسد كالجعل، وتصير العزيز ذليلاً والصحيح عليلاً، وتسقط المروءة، وتبلد الفطرة وتخمد الفطنة»[2].

(١) الفروق للقرافي ص ١١٦/١٢٥ ط عيسى والحلبي.

(٢) زهرة العريش في تحريم الحشيش للإمام بدر الدين الزركشي ص٩٥ إلى ١٠٠ دار الوفاء مصر.

المخدرات في هذا العصر:

زادت المخدرات في هذا العصر وكثرت كثرة فاحشة أذهلت الجميع وكسرت حاجز السيطرة، وظهرت أضرارها، وكشف العلم الحديث عما كان مستوراً من تلك الأضرار حتى أصبحت كارثة العصر وجائحته المحيرة، وتسببت رغماً عن ذلك في هياج كثير من الآثام كالجنس، والضياع، والأمراض المعدية، والجريمة والعنف، فأصابت الأمم في مقتل أهدرت أموالها وطاقاتها، وساعد على ذلك كله كثرة أنواعها، وسهولة الحصول عليها، وقيام جهات ذي مكانة على ترويجها لأسباب معينة. فأما عن كثرة أنواعها: فقد استخرج من الأنواع القديمة أنواع أخرى أشد فتكاً وضراوة بواسطة التقدم الكيماوي كالهيروين، والمورفين والكوكايين، وآمفيتاميين، والميراجونا والمكستون فوت، إلخ[1] هذا وقد اخترعت عقاقير أخرى وصنعت مواد بديلة قامت بهذا الدور التدميري على أسوأ ما يتخيل العقل ويتصور.

ما هو المخدر وما هو الإدمان:

يعرف المخدر تعريفاً علمياً وتعريفاً قانونياً. فأما التعريف العلمي للمخدر: فهو «مادة كيميائية تسبب غياب الوعي المصحوب بتسكين الألم: وهذا تعريف طبي.

أما التعريف القانوني للمخدر: المخدر مجموعة من المواد التي تسبب الإدمان، وتفقد الوعي، وتسمم الجهاز العصبي، ويحظر تداولها أو زراعتها أو صنعها إلا لأغراض يحددها القانون»[2] وهل يعتبر المخدر مسكراً ويعامل متعاطيه معاملة السكران وما رأي الطب في ذلك؟ قد رأينا في تعريف المخدر أنه مسكر، وقد عرف الأطباء السكر بتعريف ينطبق على تعريف المخدر تماماً، يقول الدكتور أحمد شوقي

(١) انظر في ذلك الجهود الدولية في مكافحة المخدرات عبدالله الفرحان ص٨٣ إلى ١١١.
(٢) الإدمان مظاهره وعلاجه ص ٩.

إبراهيم ملخصاً تعريف السكر: السكر حالة تعترض الإنسان وتخل بوظيفة أو أكثر من وظائف المخ، وتنعكس على قدراتها وتدني مستواها، نتيجة لتعاطي مادة أو مواد كيماوية بوعي من ذاته بحثاً عن اللذة أو هرباً من الواقع وسعياً وراء الإثارة[١]، فإذا أخذنا بالتعريف السابق لكل من الإدمان والسكر نجد أن المخدرات كلها مسكرة ومن ثم ينطبق عليها الحديث الشريف «كل مسكر خمر.... وكل خمر حرام»[٢] وبمثل ذلك قال الأئمة في كل ما يسكر، وحكى القرافي وابن تيمية الإجماع على تحريم الحشيش. وقال: ومن استحلها فقد كفر. وقال في كتابه السياسية الشرعية إن الحد واجب في الحشيش كالخمر[٣]. وقال الصنعاني: ويحرم ما أسكر من أي شيّ، وإن لم يكن مشروباً: كالحشيش، فإنها تحدث ما تحدثه الخمر من الطرب والنشوة، وإذا سلم عدم الإسكار فهي مفترة، وقد نهى رسول اللّه عن كل مسكر ومفتر»[٤].

وقال الإمام أبو زهرة: عندي أن الرأي الأولى بالاعتبار هو رأي الجمهور وهو أن الخمر كل ما خامر العقل وستره من غير عد ولا إحصاء. لأنه جد من أنواع السكر ما لا يحصى عدداً ولا نوعاً، وأن التحريم على مقتضى الحديث في كل مسكر هو الأنسب لروح العصر[٥].

تعريف الإدمان: عرفت هيئة الصحة العالمية سنة ١٩٧٣ الإدمان «بأنه حالة نفسية وأحياناً عضوية تنتج من تفاعل الكائن الحي مع العقار. ومن خصائصها استجابات وإنماط سلوك مختلفة تشمل دائماً الرغبة الملحة في تعاطي العقار بصورة

(١) المرجع السابق ص ١٧٢.
(٢) متفق عليه البخاري ٣٨/١٠، مسلم رقم (٢٠٠١).
(٣) السياسة الشرعية إبن تيمية ص٢٩ ط دار المعرفة
(٤) سبل السلام ٤ ص ٣٥ ط إحياء التراث.
(٥) المسكرات والمخدرات المستشار عزت ص ٢٤ ط القاهرة.

متصلة أو دورية للشعور بآثاره النفسية»، أو لتجنب الآثار المزعجة التي تنتج من عدم توفره[1].

آلام الإدمان وصعوبة الإقلاع عنه:

يذكر الاختصاصيون أن بعض المواد المخدرة مثل الهيروين يكفي للإدمان عليه شمة أو شمتان في يوم أو يومين، فإذا أراد الإقلاع عنه تعرض لأعراض مثل أعراض الانفلونزا، ولكن إذا طالت المدة في الإدمان، اعتاد الإنسان على المخدر حتى يعيش حياته الطبيعية بل يجبر على ذلك إجباراً، وإلا صادف مصاعب جمة وآلاماً لا تطاق لا تزول إلا بالتعاطي. وقد تبدأ هذه الأعراض المؤلمة عادة بعد اثنتي عشر ساعة من الامتناع عن التعاطي.

عذاب الامتناع ومظاهر الاستعباد:

يقول الدكتور روبرت روب: عند الامتناع عن تعاطي المخدر، ينتاب المدمن إحساس عام بالضعف، فيتثاءب ويرتعش ويعرق في وقت واحد، بينما ينساب من عينيه وأنفه سائل مائي يشبهه بعضهم بأنه ماء ساخن يتدفق متواصلاً، وخلال عدة ساعات يتقلب بشكل غير إرادي، وينام نوماً متقطعاً بلا راحة يعرف لدى المدمنين بنوم «الخرفان»، وعند الاستيقاظ عادة بعد ١٨ أو ٢٤ ساعة منذ تعاطيه لآخر جرعة يبدأ المدمن في دخول أعماق المرحلة السفلى من جحيمه الشخصي، فيكون التثاؤب قوياً لدرجة أنه يخلع الفك مع انسياب السائل المخاطي من الأنف والدموع من العينين، وتتسع الحدقتان، ويقف شعر الجلد، ويصبح الجلد نفسه بارداً قشعريراً يطلق عليه المدمنون «الديك الرومي».

ويزيد عذاب المدمن بعد ذلك، إذ تبدأ أمعاؤه في الحركة بعنف، فتنتاب جدار المعدة موجات بعد موجات من التقلص مسببة لتفجر القيء، وغالباً ما توجد

(١) الإدمان مظاهر وعلاجه ص ٢٢.

فيه بقع من الدم، وتكون مقلصات الأمعاء من الشدة بحيث يبدو سطح البطن مموجاً ومعقداً، كما لو أن عدداً من الحيات تتصارع تحت الجلد وتكون آلام البطن فظيعة وتزداد بسرعة، ويحدث إسهال مستمر يزيد على ستين مرة في اليوم».

وبعد ست وثلاثين ساعة من تناوله لآخر جرعة يصل المدمن إلى حالة يرثى لها. فيسعى في محاولة يائسة إلى أن يدفىء نفسه في مواجهة البرودة التي تجتاح جسمه مع ارتجافات شديدة أو تصطك أرجله بلا إرادة منه.

وخلال هذه الفترة من العذاب لا يحصل المدمن التعس على راحة أو نوم، فالشد العضلي المؤلم يجعله يتقلب بلا انقطاع على سريره. فيقوم أحياناً، ويتمشى أحياناً، ويرقد على الأرض أحياناً، في نوبات هستيرية، ويملأ الجو بصرخات تعاسته وتنهال الإفرازات المائية من عينيه وأنفه بشكل هائل، بل إن كمية السوائل الخارجة من المعدة والأمعاء ضخمة بشكل لا يصدق، إن العرق الغزير وحده كاف لإغراق أغطية السرير والمراتب، ويكاد المدمن يصل في هذه المرحلة بمظهره الأشعث وذقنه المهملة والروائح الكريهة المنبعثة من قيئه وبرازه وعرقه إلى مرتبة اللاإنسانية، ولما كان لا يتناول طعاماً ولا شراباً فإنه يهزل بسرعة.

وقد يفقد ما يقرب من عشرة أرطال خلال يوم، ويصل إلى حالة من الضعف والهزال بحيث لا يستطيع أن يرفع رأسه قط.

ولا عجب إذن أن يخشى الكثير من الأطباء على حياة مرضاهم في تلك الحالة، ويسارعون بحقنهم بالمخدر الذي يزيل كل تلك الأعراض المخيفة على الفور[1].

الإهدار المالي للمدمن:

رغم هذه الآلام، ورغم هذا الاستعباد، ورغم ذهاب الصحة والكرامة

(١) انظر في ذلك كتاب عقول المستقبل تأليف: جون ج. تايلور ص١٤٩ ط عالم المعرفة.

والإنسانية وعدم القدرة على العمل أو الإنتاج والكسب، يحتاج المدمن إلى المال الكثير الذي لا يستطيع أن يكسب منه شيئاً، فهو يحتاج في بعض الأحيان حسب تقدير الأخصائيين والاقتصاديين والشرطة وحسب تغير الأسعار التي ترتفع باستمرار، يحتاج المدمن للشمة الواحدة من الهيروين مثلاً إلى حوالي ١٥٠ جنيهاً مصرياً، حوالي ٢٠ دينار كويتياً ويحتاج إلى ٣ شمات في اليوم إذا كان مبتدئاً، وإلى ١٠ إذا كان متمرساً، ومضى عليه وقت في الإدمان. أي يحتاج غير المتمرس إلى ٤٥٠ جنيهاً في اليوم، أو إلى ٦٠ دينار، ويحتاج المتمرس إلى ١٥٠٠ جنيهاً، أو ٢٠٠ دينار في اليوم الواحد.

فمن أين بهذا المال إلا على حساب قوته وقوت أسرته، واقتصاد قومه وبلده، والفقر يضرب أطنابه في بلاد المسلمين هنا وهناك. ورغم ذلك فكم تخسر الأمة من جراء تلك الأيدي المتبطلة العاطلة المتلفة التي تزداد يوماً بعد يوم[1].

إذن فالإدمان على المخدرات أم الآثام والخبائث لأنها:

١- تذهب العقل وتشوش الذهن.

٢- تهلك الجسد وتصيبه بالأوجاع والهزال والتسمم.

٣- تورث الاستعباد والانقياد بالاكراه إلى الهاوية.

٤- تقضي على النشاط الحيوي للإنسان وتثبط الهمة وتقضي على العزيمة.

٥- تذهب المال وتأتي بالفقر والدين والعوز.

٦- اعتداء على حق الأسرة بإهدار المال مع الاحتياج إليه والإهمال في التربية والحقوق وتوريث الذل والهوان، وضعف النسل والقضاء عليه.

٧- جناية على المجتمع والأمة بضياع أبنائها وأموالها وعدتها وثروتها وقوتها وأطماع الأعداء فيها، وكثير من الأعداء يحاربون الأمم بالمخدرات للقضاء على قوتها وحيويتها واقتصادها.

فهل بعد هذا من مرض عضال يجب تكاتف الجهود للقضاء عليه؟؟

---

(١) انظر مجلة سيدتي العدد ٤٠٥- ١٩٨٨/١٢/١٢م.

المبحث الثالث
غول المخدرات ووباء الإدمان

من الواضح الذي لا شك فيه أن ظاهرة الإدمان والعبودية للمخدرات أصبحت من الأوبئة التي تفشت في كثير من المجتمعات ولم تعد تقتصر على بلد دون آخر بعد أن زالت الحدود وألغيت المسافات وانعدمت الحواجز.

وقد تساءل الناس كثيراً عن أسباب تلك الظاهرة، وبحثت الأمم طويلاً عن حقيقة تلك المشكلة، التي تطاولت حتى غزت الشباب، وبدت نذيراً خطراً واضحاً للعيان، والأمر الخطير أن كثيراً من دول العالم الثالث التي تحتاج إلى كل ساعد وكل عقل وكل طاقة، قد زحف إليها هذا الوباء وبدأ يهزها هزاً عنيفاً، ولم تستشعر مؤسساتها الفاعلة والمؤثرة مسؤوليتها في مواجهة هذا الغول الكاسر، كالأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام والمؤسسات الصحية والاجتماعية، ومراكز رعاية الشباب، لم تستشعر بعد حجم الخطر وشراسة المعركة التي فرضت عليها وغزتها في عقر دارها، ولم تأخذ للأمر عدته أو تقدر حجمه ودلالته. ومن الأمور المحزنة كذلك أن الكثيرين في العالم الإسلامي لا يزالون يعيشون على وهم العافية، وعلى وسادة اللامبالاة، وفي كل يوم يقرع أسماعهم كثير من القصص والحوادث والإحصائيات التي تتحدث عن تفشي الدار، واستفحال المرض وسقوط كثير من الضحايا.

ولقد أكد تقرير صدر حديثاً في باريس عن منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية «أويسد» التي تضم أربعاً وعشرين دولة صناعية متقدمة: أن أقطار ما يدعى بالعالم الثالث- ومعظم دول العالم الإسلامي واقعة على نطاقه- بلغت فيها المخدرات حد الوباء الواسع الانتشار، وأن بعض هذه الأقطار صار لديها من المعدلات

للمدمنين بالقياس لعدد سكانها ما يقرع نواقيس الخطر، وما يدعو إلى التعبئة لمكافحة هذا الوباء.

وقد نشرت لجنة المخدرات الدائمة التابعة للأمم المتحدة تقريراً على جانب كبير من الأهمية، وأرسلته إلى مكتب مكافحة المخدرات المركزي في القاهرة جاء فيه: تزايد حجم الإتجار غير المشروع في المواد المؤثرة على الحالة النفسية للبشر زيادة أثرت في منطقة الجامعة العربية بأسرها، على الرغم من ممانعة العديد من الحكومات الاعتراف بالمدى الحقيقي للمشكلة. وبرزت في منطقة الجامعة العربية ظاهرة انتشار تعاطي الهيروين، ووفاة عدد من المتعاطين بسبب تناول جرعات زائدة منه، وقد وصلت درجة نقائه ٣٠٪ وهي تفوق درجة نقاء الهيروين المتداول في أوروبا وأمريكا الشمالية.

ويجري تهريب الهيروين إلى المنطقة العربية من الشرق الأدنى والأوسط، وبلغت الكميات المضبوطة في المنطقة العربية في عام ١٩٨٣ وحدها ما يقدر بـ١٤٦ كيلوغرام، أكبر كميات جرى ضبطها كانت في الإمارات العربية المتحدة، ثم سوريا ولبنان والكويت والبحرين وقطر وعمان والعراق على التوالي.

ويضيف التقرير فيقول: ما يزال الحشيش هو المخدر الأكثر انتشاراً في الدول العربية وإجمالي ما ضبط منه عام ١٩٨٣ يقدر بـ٩٥ طناً[1]، وبلغت مضبوطات الأفيون عام ١٩٨٣ أيضاً ٥٨، طناً وأكبر كمية ضبطت كانت في سوريا ثم لبنان فقطر والكويت، وبلغت كمية مضبوطات الكوكايين في عام ١٩٨٣ ما يقدر ٢٢ كلغ، وأكبر كمية جرى ضبطها كانت في لبنان والإمارات العربية والكويت والمغرب والبحرين والأردن، ويأتي الكوكايين من الأمريكتين الوسطى والجنوبية «اللاتينية».

ويتسع خطر الظاهرة المدمرة: فتعلق السيدة تمارا أوبنهايمر مديرة شعبة

(١) الجدير بالذكر أن نسبة المضبوط دائماً تكون أقل بكثير من المتسرب داخل الدول حيث تبلغ في العادة ١٠ إلى ٥٠.

المخدرات التابعة للأمم المتحدة على ذلك بقولها: إن بلاء سوء استعمال العقاقير والاتجار في المخدرات يزداد بمعدلات مذهلة، وبالغة الخطورة، وتظهر آثارها الخبيثة على نحو متزايد في البلدان النامية، والعالم الصناعي على حد سواء، بالإضافة إلى أن الروابط بين الاتجار في المخدرات والاتجار غير الشرعي في الأسلحة والإرهاب قد تجلت بصورة أقوى في الآونة الأخيرة.

وقد قدمت السيدة تمارا أوبنهايمر ـ هولندية الأصل ـ تقريراً شاملاً عن حركة الاتجار في المخدرات على الصيعد العالمي جاء فيه:

ـ زيادة ملحوظة في كميات المخدرات والمواد المؤثرة على الحاله النفسية كل سنة عن الأخرى بشكل رهيب، فمثلاً في سنة ١٩٨٣ كان بيان المواد التي ضبطت بالنسبة للحشيش بلغت مضبوطاته في عام ١٩٨٣ ما مقداره ١١٧٤٥ طناً وهي أكبر من الكمية المضبوطة في عام ١٩٨٢ التي بلغت ٧٥٠ طناً. ولبنان هي أشهر مناطق زراعة الحشيش، حيث يقدر الرائد انطون لطيف مدير مكافحة المخدرات الأردني حجم الانتاج اللبناني من الحشيش بمقدار ٢٠ ألف طن سنوياً.

وتشير التقارير اللبنانية إلى ازدياد المساحات المزروعة بالقنب ـزهرة الحشيشـ في لبنان إلى الحد الذي غطت معه كل أرض سهل البقاع. وقد بلغ الأمر إلى حد أن سكان السهل انتزعوا شجيرات التفاح من الحدائق المحيطة بمنازلهم وزرعوا القنب بدلاً منها.

ـ وبلغت مضبوطات الأفيون عام ١٩٨٣ قرابة ٨٤ طناً وهي أكبر من مضبوطات عام ١٩٨٢ التي بلغت ٤٦ طناً وأشهر مناطق إنتاج الأفيون في الهلال الذهبي إيران، أفغانستان، باكستان، والمثلث الذهبي، تايلاند، بورما، لاوس.

ـ وبلغت المضبوطات من الهيورين: ٢١ طناً عام ١٩٨٣ وكانت المضبوطات في ٨٢ لا تزيد عن ٦ أطنان وقد عانت كثير من الدول من الهيورين بصورة مقلقة من هذه الدول مصر، والكويت، ولبنان.

- الكوكايين بلغ حجم مضبوطاته ٤٠ طناً عام ١٩٨٣ بزيادة ثلاثة أمثال المضبوطات في عام ٨٢، وهي ١٢ طناً، ويزرع الكوكايين في بلاد الأنديز، ويغطي مساحات كاملة من بيرو، وبوليفيا، وكولومبيا. وقد اكتشفت السلطات أن هناك علاقات وصلات بين عصابات الاتجار غير المشروع في الكوكايين وقادة الاضطرابات المسلحة هناك، وقد شنت قوات الأمن في كولومبيا حملة مداهمات فأسفرت عن ضبط ١٠ أطنان من الكوكايين و١٤ معملاً سرياً، ومواد كيماوية وأسلحة....

- مجموعة الباربيتورات ضبط منها ٥١١٣ كلغ و٤ ملايين جرعة عام ١٩٨٣.

- أما الامفيتامينات. الماكستون فورت. فبلغت مضبوطاتها عام ١٩٨٣. ١٧٥٥ كلغ و١١,٥ مليون جرعة.

- وهناك أيضاً عقار الهلوسة. ٤٥٣ كلغ، ٦,٥ ملايين جرعة في عام ١٩٨٣.

- والفتلين المهيج ويعرف تجارياً تحت اسم «كبتاغون» ويجري تصنيعه تجارياً في أوروبا ويهرب بكميات كبيرة إلى ١٢ دولة في الشرق الأدنى والأوسط والمنطقة العربية، وقد تزايد عدد الجرعات المضبوطة منه من ٢ مليون جرعة إلى ١٥ مليون جرعة عام ١٩٨٣[1].

عصابـــات التهريـــب:

يتولى نقل هذه السموم المدمرة عصابات محترفة وقوية تتوصل بكل سبيل إلى ترويج تجارتها، وتتدخل قوى عالمية مدمرة لتوردها إلى بعض الشعوب التي يراد

(١) اقرأ في ذلك كتاب الكويت والجهود الدولية لمكافحة المخدرات ص ١٤١ وما بعدها ط الكويت سنة ١٩٨٥ عبدالله سعيد الفرحان والإدمان مظاهره وعلاجه عادل الدمرداش ط عالم المعرفة، الكويت سنة ١٩٨٢.

القضاء عليها وإضعافها، كما تقوم بذلك وتفرح به عصابات الابتزاز لحساب هذه القوى. مثل عصابة المافيا التي تتولى تهريب الهيروين، وعصابات تهريب الكوكايين، وقد ارتكبت هذه العصابات في سبيل ذلك كثيراً من جرائم القتل والإرهاب، حتى كانت تمثل بجثث الضحايا ردعاً لمن تسول نفسه الوقوف في طريقهم، ومن لا تستطيع أن تصل إليه بالقتل تصل إليه بالرشوة. وتهرب هذه السموم إلى كثير من الدول العربية والإسلامية بجميع الطرق برية وبحرية وجوية.

وتنشط إسرائيل هذه الأيام في ترويج تجارة السموم إلى الدول العربية، وقد ضبط أخيراً مواطن إسرائيلي اسمه يوسف طحان وقد اختير من مواليد مصر ويعرف اللهجة المصرية ضبط يوسف طحان في أغسطس سنة ١٩٨٦ في مطار القاهرة قادماً من بومباي- الهند ومعه ١,٥ كيلوغرام هيروين قام بتخبئته في أنابيب معجون أسنان.

وقد ادعت زوجته فيوليت طحان -٣٥ عاماً- لراديو إسرائيل أنها لم تكن تعلم شيئاً عن النشاط غير المشروع الذي يقوم به زوجها وثارت على احتمال إعدامه وقالت لا يمكن تصور إعدامه... خاصة بعد مقتل سبعة مدنيين إسرائليين بنيران جندي مصري في رأس بركة بسيناء.

وقالت إنها ستطلب تدخل وزارة الخارجية الإسرائيلية والمسؤولين فيها وستطلب من الرئيس حسني مبارك العفو عنه.

هذا ولا بد أن يتوقع العرب والمسلمون أن حرباً ستشن عليهم من قبل أعدائهم لإضعاف قواهم وتوهيم أجسادهم وإذهاب عزائمهم حتى يظلوا ركعاً وسجداً أمام الصلف الاستعماري والغرور الإسرائيلي والغزو الثقافي الذي يزحف على بلادهم من كل جانب يريد التهامهم وإذهاب ريحهم[1].

وقد تصايحت القلوب الواجفة والنفوس الحانية والضمائر الحية المخلصة في

(١) الشرق الأوسط ١٩٨٧/٧/٨ جريدة.

هذه الأيام ورفعت الصوت عالياً بالتحذير والتنبيه والإرشاد والتوعية من هذا الخطر الداهم والخطب الفادح، لتحصن كل عزيمة وترشد كل طاقة تحتاجها الأمة في هذه الأيام لنهضتها وعزتها ورفعتها.

الإدمـــان لمـــاذا؟

عرفنا أن الإدمان على المخدرات مهلكة وضياع، فما الذي يلجىء الإنسان إلى هذا الإدمان، وما الذي يقهره ويذله، ويجعله يهلك ماله، ويغتال حياته؟ والإنسان دائماً يسعى إلى مصلحة نفسه ونفع ذاته، ويجاهد في سبيل ذلك ويأخذ له أهبته.

وبداهة لا بد أن يكون هناك أسباب لتلك الظاهرة. وقد تكون أسباباً ظاهرة أو ضعيفة، جسدية أو نفسية، بيئية أو أسرية، إرادية أو قهرية، ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾[1] إذن فما هي الأسباب والعوامل التي تتسبب في الإدمان؟ وهل لها من علاج؟ وما هو دور الإسلام في منع هذه الأسباب أو إزالتها؟ وما هي مقدرة الإسلام وقوة حيويته في علاج هذه الظاهرة ؟ فمن أشهر الأسباب المؤدية إلى الإدمان مثلاً فساد الأسرة.

(١) الكهف ـ ٨٤: ٨٥.

المبحث الرابع
منهج الإسلام في محاربة الانحراف

إن منهج الإسلام في محاربة الانحراف يتبلور في نقاط محددة وواضحة تتلخص في:

أولاً:

أ- منع أسباب الانحراف قبل وجودها، والوقاية منها.
ب- معالجتها وإزالة أسبابها بعد وجودها.

ثانيـــاً:

أ- معرفة الحقيقة واعتقاد صحتها بالدليل والبرهان.

ب- تربية الإرادة الصلبة التي تدافع عن هذه الحقيقة وتدعو الناس إلى التمسك بها، وتتنافر مع الآثام والأوهام فضلاً عن الوقوع فيها.

والمعالجة الإسلامية التي ستنتج في علاج ظاهرة المخدرات لا تخرج عن هذا المنهج السابق، وتتلخص في منع أسباب تعاطي المخدرات أو إزالتها، وفي تربية الإرادة ومعرفة الحق والتمسك به والدعوة إليه سلوكاً في الحياة.

أشهر أسباب الإدمان:

من أشهر أسباب تلك الظواهر المؤدية إلى الإدمان فساد الأسرة وتفككها، وأصدقاء السوء.

وقبل أن نتكلم على فساد الأسرة وتفككها يجدر بنا أن نتكلم على مفهوم الأسرة وأثره في الفرد.

مفهوم الأسرة وأثره:

ونعني بالأسرة المعنى اللغوي وهو:

أولاً: رهط الرجل الأدنون «العائلة» وهم أهل الرجل وعشيرته.

ثانياً: الجماعة التي يربطها به أمر مشترك. ويطلق عليها «البيئة»[1]، ولا شك أن للأسرة تأثيراً قوياً في الإنسان سواء كانت عائلته، أم بيئته، وقد بالغ بعض الباحثين في ذلك حتى أنه أرجع كل نقيضة في الإنسان أو فضيلة إلى البيئة، وهؤلاء يمثلون في الغالب الآراء المتشائمة في هذا الاتجاه، ومنهم قديماً أبو العلاء حين يقول:

فلا تأمل من الدنيا صلاحاً فذاك هو الذي لا يستطاع

ومنهم حديثاً «أنا تول فرانس» حين يقول: «إننا في الواقع لا نختلف كثيراً عن أجدادنا ولأجل أن تتغير أذواقنا وعواطفنا تغيراً ذا بال فإنه لا بد من تغيير الأعضاء التي أنتجتها، وهذا عمل الأجيال من مئات وآلاف السنين. وهذا لازم إذا أردنا تعديل بعض خصائصنا تعديلاً ملحوظاً...[2] وهذا مستحيل!!

وهذا في الحقيقة يأس وتشاؤم يخالف الواقع والحقيقة... إذن فما الحاجة إلى الإصلاح والمصلحين والرسل والأنبياء؟ ولو كتب لمثل هذه الأفكار البقاء والانتشار لوقفت الحياة وتركت التربية، وألغيت الإرادة، وأصبحت الرذائل والفضائل أشياء جبرية لا تقبل التعديل أو التبديل، والعكس صحيح، فقد ثبت أن الزمن والظروف والبيئة قد استطاعت أن تبدل قِيَم البشر أكثر من مرة. يقول (كاتل) لقد تبدلت قيم وحضارات أمم بقِيَم وحضارات أخرى، فوجدت حضارات عديدة «مثلاً» خالية من الحب «الرومنسي» والرغبة في التملك الفردي والرغبة في الاعتداء على الآخرين[3]، كما وجدت حضارات بخلاف ذلك.

---

(١) المعجم الوجيز مجمع اللغة العربية، والمنجد الأبجدي ط دار الشرق بيروت في الكلمة.

(٢) العربي العدد ـ ١٢٦ دي حديقة أبيقور «هل تغيرت الطبيعة البشرية لعلي أدهم كما تنظر في ذلك» الشخصية بين النجاح والفشل: د. علي الوردي ط ١ ص ٧٠ ط الزهراء بغداد.

(٣) لم العقل (برجن إيفانز) ترجمة الدكتور موفق الجحداني ومريم شرارة ص ١١٣ ط بيروت ١٩٦٩.

بين الوهم والحقيقة:

ورغم ذلك كله أثيرت شكوك حول مدى صدق ما يراه أيضاً أنصار النظرية الوراثية أو النظرية البيئية، وحول دقة النتائج التي وصلت إليها دراساتهم.

والحقيقة أنه استقر الرأي بعد دراسات مستفيضة من علماء النفس، وبعد معايشة الواقع التاريخي، وبعد ملاحظة النماذج المختلفة، على أهمية العاملين معاً على أساس استحالة تصور الإنسان بلا وراثة، أو بلا بيئة، أو تعلم واكتساب[1] فلا شك أن الذكاء له ارتباط بالوراثة، ولكن يجب ألا نتجاهل الحقيقة، وهي أن الذكاء يظهر في البيئة الصالحة، ويتأثر بالوسط الذي يعيش فيه الشخص، فقد نجد شخصاً ذكياً بالفطرة، ولكنه يعيش في دائرة محدودة وفقيرة بالخبرات فيقل نشاطه وتنحصر علاقاته الاجتماعية في إطار ضيق، ولا يستغل ذكاؤه، ويبدو من الناحية الظاهرية كما لو كان شخصاً محدود الذكاء.

وهذه النظرة توافق النظرة الإسلامية، التي لم تغفل الوراثة أو البيئة، كما لم تغفل التربية والفقه والتوجيه والعلم، نرى ذلك في قوله صلى اللّه عليه وسلم حين سئل عن معادن العرب وعن أكرم الناس فقال: «خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»[2].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾[3] فالإسلام لم يغفل أهمية التفاعل الكامل بين العوامل الوراثية والمثيرات البيئية في تكوين الشخصية الإسلامية، كما لم يغفل التربية والتوجيه ودوره في التنشئة الحسنة أو السيئة على السواء.

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم: «ما

(١) مدخل إلى العلوم السلوكية ص ١٣١ د. سهير خير الله عالم الكتب المنصورة ط الثانية سنة ١٩٧٤.

(٢) أخرجه مسلم. مختصر صحيح مسلم رقم ١٦١٥ ط المكتب الإسلامي سنة ١٩٧٧ الثانية.

(٣) الأعراف. ٥٨.

من مولود يولد إلا على الملة فأبواه يهودانه، وينصرانه أو يشركانه»[1].

قال الخطابي: هو أن كل مولود يولد على الجبلة السليمة، وإنما يعدل عنها من يعدل إلى غيرها، لأنه من آفات النشوء والتقليد[2].

وقد تكلم العلماء في ذلك فقال الغزالي يؤكد على أهمية توارث الصفات عن طريق الرضاعة حيث نصح بضرورة مراقبة الطفل وهو في مهده ومنذ ولادته، فلا يعهد به إلا إلى امرأة صالحة مؤمنة، لا تأكل إلا حلالاً طيباً لأن اللبن الناتج من حرام ليس فيه بركة، فإذا دخل في تكوين جسم الطفل فإن طبعه يميل إلى الخبائث والمحرمات[3].

وروي عن عمر بن الخطاب أنه نهى عن إرضاع الحمقاء للطفل، حتى لا يرث الحمق عنها، ويقول ابن سيناء إن من حق الولد على والده إحسان تسميته، ثم اختيار المرضعة المؤمنة له، بحيث لا تكون ورهاء ولا ذات عاهة لأن اللبن يعدي[4].
ويقر القاضي وياالجن المتوفي سنة ١٩٨١ أثر البيئة الاجتماعية في التنشئة حيث قال: إن طبيعة الطفل مرنة قابلة للتشكل والتطبع بسرعة عن طريق تفاعلها مع البيئة المحيطة بها، فإذا وضع الطفل في بيئة صالحة فإنه يتطبع بها ويكون صالحاً، وإذا وضع في بيئة فاسدة فإنه يتطبع بها ويكون فاسداً وقد استشهد بالآية رقم ٨٥ من سورة الأعراف على أثر البيئة في تربية الطفل ﴿**والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون**﴾[5].

هل الفرد حر، أم صنيعة البيئة:

ليس معنى تأثير البيئة والأسرة على الإنسان أن شخصيته قد انتهت وأنه

(١) أخرجه مسلم في القدر رقم ٢٦٥٨ باب معنى كل مولود يولد على الفطرة.
(٢) شرح السنة للبغوي ط المكتب الإسلامي دمشق ١٦/١٠.
(٣) انظر إحياء علوم الدين ٧٢/٣ ط دار صادر المعرفة لبنان.
(٤) سيكولوجية العلاقات الاجتماعية د. ماهر محمود ص ٩١ ط المعرفة الجامعية لأسكندرية.
(٥) المرجع السابق ص ٩٥.

أصبح صنيعة المجتمع، وإنما يجب أن نلاحظ أن التنشئة الاجتماعية نفسها تؤدي إلى تفتح العقل وتنمية الشخصية الفردية والشعور بالنفس. وهذا هو ما دعى عالم النفس المشهور (Cooley) أن يقول: إن الشعور بالنفس والشعور الاجتماعي توأمان ينشآن معاً داخل الجماعة إذ بدونهما لا ينشأ ولا يتطور أي منهما[1].

إذ أن البيئة هي التي تعرف وتعلم وتجيب على التساؤلات وتتفتح فيها العقول، وللعقل بعد ذلك أن يختار وأن يفكر وقد يكون منقاداً أكثر في فترة التعلم أو التفتح والمعرفة، ولكنه لا يلبث أن ينضج ويعمل ملكاته ويكتمل رشده، ولهذا لم يكلفه اللّه سبحانه في الفترة السابقة، لأنه يكون ناقص الأهلية كثير التأثر بالبيئة، ولكنه وبعد أن ينضج نفساً وعقلاً يأتي التكليف لأنه يكون قد ملك نفسه، فهو إما مختار لطريق الانحراف متمرد على الحق وحتى على البيئة ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[2].

وإما مختار لطريق الحق وقد يكون ذلك متوافقاً مع الأسرة والبيئة ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾[3] وبعد ذلك يقرر القرآن مسؤوليته الكاملة ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[4].

(١) انظر في ذلك أسس علم الاجتماع د. حسين شحاتة ط دار النهضة ص ١٤٣ مصر. ط الخامسة سنة ١٩٦٠.

(٢) الأحقاف- ١٧.

(٣) الأحقاف- ١٥.

(٤) الأحقاف- ١٩.

المبحث الخامس
الانحراف، أسبابه، وعلاجه

لا شك أن متعاطي المخدرات تجتمع عليه عوامل كثيرة معقدة ومتشابكة تضغط على شخصيته الضعيفة فتقهقرها وتدفعها إلى الإدمان على المخدرات، من أهم هذه الأسباب.

التفكك الأسري:

تقوم الأسرة بدور رئيس في تربية التطبع الاجتماعي لأفرادها، فهي الجماعة التي يرتبطون بها بأوثق العلاقات، وهي التي تقوم بتشكيل سلوك الأفراد منذ مرحلة الطفولة، وهذا السلوك يمتد حتى يشمل كل جوانب الشخصية وحياتها.

فالولد الذي يرى أبويه يكذبان لا يمكن أن يتعلم الصدق.. والولد الذي يرى أبويه يغشان أو يخونان لا يمكن أن يتعلم الأمانة. والولد الذي يرى أبويه في ميوعة واستهتار لا يمكن أن يتعلم الفضيلة.

والولد الذي يرى من أبويه القسوة والجفاء لا يمكن أن يتعلم المودة والرحمة.

وصدق القائل:

وهل يرجى لأطفال كمال إذا ارتضعوا ثدي الناقصات

البحوث والدراسات تتحدث:

تشير الدراسات والبحوث إلى أن الشباب الذين يعيشون في أسر خربة مفككة يعانون من المشكلات العاطفية والاجتماعية بدرجة كبيرة جداً، كما تشير إلى أن هناك نموذجاً مميزاً للأسرة التي يترعرع فيها متعاطي المخدرات. وأهم صفات

تلك الأسرة عدم الاستقرار في العلاقات الزوجية واتباع سلوك غير سوي في معاملة الأبناء، واقتراف أفراد الأسرة للرذائل والأساليب الخاطئة.

وقد أجريت إحصائيات كثيرة للمدمنين على المخدرات والجانحين والمشردين من الأطفال الذين تحولوا لتعاطي المخدرات من تلقاء أنفسهم، فوجد أن النسبة تراوحت بين ٥٠٪ و٨٠٪ للأطفال الذين يعيشون في أسر متصدعة، وان أسلوب معاملة أولياء الأحداث لم يكن سليماً لهؤلاء الأطفال[١].

وثبت أيضاً من دراسات ماكورد سنة ١٩٦٠ أن ٩٧٪ من الشباب المدمنين على الخمر ينتمون إلى أسر مضطربة، أو أسر يسود فيها بين الوالدين النزاع وتعتبر الأم الشخصية الرئيسة التي تؤثر على نمو السمات التي تؤدي إلى الاستعداد للإدمان على الخمر أو على العقاقير. كما أنه من الملاحظ في معظم أسر المدمنين أن الأب يكون من المشغولين معظم الوقت، أو يكون غائباً عن البيت، يسير وراء متعة أو لا يمارس نشاطه الأسري على خير وجه. وأن الأم قد توصف بأنها مستهترة أو تنبذ الطفل، أو مفرطة في حمايته ورعايته، حتى تضعف شخصيته وتقضي على رجولته، كما أن من صفات هذا النوع من الأمهات أيضاً الاضطراب الانفعالي، مثل الشعور بالذنب أو العدوانية والسيطرة. وكل هذا يؤدي إلى صراعات عند الأطفال تسرع بهم إلى الإدمان.

الصراعات المؤدية إلى الإدمان:

قام ماركورد بدراسات لتحديد الصراعات المؤدية بالأطفال إلى الإدمان. وقد كشف عن عاملين مرتبطين ارتباطاً جوهرياً بإدمان الأطفال عند وصولهم سن الثلاثين وهذان العاملان هما:

أ- صراعات خاصة بالرغبة في الاتكالية.

(١) انظر ظاهرة تشرد الأحداث في الطرق- يوسف إلياس- مجلة البحوث الاجتماعية والجنائية العدد -١- السنة الثانية- ص ١٤٥- ١٦٥، وكذلك الشباب والمخدرات ص٦٦.

ب- عدم قدرة الطفل على إدراك دوره في المجتمع بوضوح.

العوامل المتعلقة بالصراعات حول النزعة الاتكالية:

١- تذبذب الأم بين العطف والحنان من جهة والنبذ من جهة أخرى.

٢- تهرب الأم من الأزمات الأسرية ولجوئها إلى الخمر أو المخدرات والتشوش الجنسي.

٣- انحراف سلوك الأم في غير أوقات الأزمات.

٤- إهانة الأب للأم.

٥- تنافر الأبوين.

٦- سخط الأم وعدم تقبلها للأمومة.

«وكان وجود العاملين ٣، ٤ معاً يؤدي إلى ظهور أعلى نسبة في الإدمان على الخمر والمخدرات في الأولاد.

العوامل الخاصة بتشويش إدراك الشخص لدوره في المجتمع:

(١) نبذ الأبوين للطفل.

(٢) تهرب الأب من المسؤولية.

(٣) انعدام طموحات الأبوين بخصوص مستقبل الطفل.

(٤) صراعات شخصية من خارج الأسرة مثل الجد أو الجدة حول ما تريده وتتوقعه الأسرة من الطفل.

(٥) ضعف الضوابط التي تفرضها الأم على سلوك الطفل.

(٦) انعدام الإشراف على الطفل.

وقد تمكن «ماركورد» من تحديد هوية ٤ أنواع من الأسر التي تنتج أبناء يدمنون على المخدرات وهي:

أ- أسر من صفات الأم فيها الازدواجية الصريحة والانحراف وضعف الاتجاه الديني مع وجود أب معاد للأم، يتهرب من مسؤوليته، ويحقر من شأن زوجته ولا يتوقع من الطفل النجاح أو البروز.

ب- أسر تتهرب الأم فيها من المسؤولية، وميولها الدينية ضعيفة، بالإضافة إلى تخاصم الأب والابن.

جـ- أسر يدور فيها صراع بين شخص خارجي والوالدين حول قيمها بالإضافة إلى عدائية الأب وميله للتهرب.

د- الأسر التي تجتمع فيها صراعات شخص خارجي مع الوالدين بازدواجية وانحراف أو تهرب الأم.

وخلاصة ذلك كله أهمية دور الوالدين في المشكلة فكلما فشل أحد الوالدين أو كلاهما في القيام بدوره الصحيح ارتفعت نسبة إدمان الخمر والمخدرات بين الأبناء[1].

الإسـلام والأســرة:

الأسرة في الإسلام محفوظة لأنها محصنة ضد الفساد عامة، والإدمان على المخدرات خاصة، لأن للأسرة في الإسلام رسالة تقوم بها، وغاية تسير إليها، تتلخص في أمرين اثنين.

أولها: مسايرة الفطرة الربانية التي فطر اللَّه سبحانه عليها الرجل والمرأة على

(١) انظر في ذلك: الإدمان مظاهرة وعلاجه، د عادل الدمرداش ص ٥٧- ٦٠ ط الكويت التقدم العلمي، عالم المعرفة.
انظر كذلك الشباب العربي والمشكلات التي يوجهها لعزت حجازي ط عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون الكويت، ورسالة المعلومات للأمم المتحدة سنة ١٩٧٨ شعبة المخدرات ص٨، ٩، وانحراف الصغار لسعد المغربي ط دار المعارف بمصر ص ١٤٥، ١٩١ ص ١٩٦٠ ومجلة البحوث الاجتماعية والجنائية العدد ١- السنة الثانية ص ١٤٥- ١٦٥ مقال بعنوان ظاهرة تشرد الأحداث يوسف إلياس سنة ١٩٧٣.

سواء، فقد خلقتهم يد اللَّه سبحانه أزواجاً، وأودعت في نفوسهم عواطف جياشة كل قبل الآخر، وجعلت من تلك الصلة سكناً للنفس والأعصاب، وراحة للجسم والقلب واستقراراً للحياة والمعاش، واطمئناناً للرجل والمرأة على السواء.

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[1] فيجب أن لا تتمرد الأسرة على هذه الطبيعة أو تحاربها بأي شيء، لأن اللَّه قد هيأها لتكون سكناً.

ثانيهما: أن تكون محضناً خصباً وآمناً وسلاماً لتربية الأجيال المستقرة نفساً وخطواً، عملاً وجهاداً في الحياة، وأن تعي جيداً هذا الدور وتتأهل له. ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[2] أسرة تخرج الهداة الذين تنكشف بهم كل فتنة عمياء.

الاستعداد لتكوين الأسرة:

ولأن الأسرة في الإسلام أفضل مشروع للمجتمع المسلم وأقوى ركيزة للأمة الإسلامية:

١ـ فإنه ينبغي الاستعداد له، بتربية زوجة المستقبل على المنهج الرباني السامي وعلى معرفة رسالتها في الحياة وكذلك تربية زوج المستقبل على مثل ذلك.

قال صلى اللَّه عليه وسلم: «من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان فأدبهن وأحسن إليهن وزوجهن: له الجنة: وفي رواية فأحسن صحبتهن واتقى اللَّه فيهن فله الجنة»[3] وقال صلى اللَّه عليه وسلم: «ما نحل والد ولداً من نحل أفضل من أدب حسن»[4] وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ

(١) الروم - ٢١.

(٢) الفرقان- ٧٤.

(٣) رواه الترمذي واللفظ له وأبو داود الترغيب والترهيب ٣/٣٥٠.

(٤) الترمذي رقم - ١٩٥٣ وصححه الحاكم وقال الترمذي غريب مرسل.

﴿وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[1].

٢ـ ينبغي الاختيار الدقيق، قال صلى اللَّه عليه وسلم: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»[2]، وقال صلى اللَّه عليه وسلم: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، ألا تفعلوا تكون فتنة في الأرض وفساد، قالوا: يا رسول اللَّه وإن كان فيه؟، قال: إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ـ ثلاث مرات ـ»[3].

قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾[4].

٣ـ ينبغي أن يكون مهيأ لذلك بالنفقة وكل ما يلزمه وتستقيم به حياته «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج. ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[5] أي من يستطع النكاح ويكون عنده المكان الذي يأوي إليه والأهبة لذلك، فإن من نكح امرأة بوأها منزلاً.

٤ـ أن يكون هناك رضا وتوافق في الشكل والطباع والكفاءة: «عن المغيرة بن شعبة رضي اللَّه عنه أنه قال: خطبت امرأة فقال النبي صلى اللَّه عليه وسلم: «انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»[6].

وعن أبي هريرة قال: كنت عند رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار فقال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلم: «أنظرت إليها؟ قال لا، قال: فاذهب فانظر إليها، فإن في أعين الأنصار شيئاً»[7] كما أن

---

(١) التحريم.

(٢) أخرجه البخاري ١١٥/٩ في النكاح ومسلم رقم ١٤٦٦ في الرضاع.

(٣) أخرجه الترمذي رقم ١٠٨٥، وابن ماجه ١٩٦٧ ومسلم ١٤٨٠ وأبو داود ٢١٠٢ بسند جيد.

(٤) النور ـ ٣٢.

(٥) متفق عليه البخاري ٩٢/٩ مسلم ١٤٠٠.

(٦) أخرجه الترمذي برقم ١٠٨٧ في النكاح والنسائي ٦٩/٦ حديث صحيح وابن حبان ١٢٣٦.

(٧) أخرجه مسلم برقم ١٤٢٤ في النكاح والنسائي ٧٧/٦ نكاح.

للمرأة الحق في ذلك أيضاً. قال صلى اللّه عليه وسلم: «الثيب أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأذن في نفسها، وإذنها صماتها» وقال صلى اللّه عليه وسلم: «لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن، قالوا: يا رسول الله، وكيف إذنها؟ قال: «أن تسكت»[1].

دستور الأسرة المسلمة:

لأهمية التقاء شطري النفس الواحدة «الرجل والمرأة» ولضرورة تكوين مجتمع الأسرة كان لا بد وأن يكون لها سمات:

أولاً: توفير السكن والطمأنينة والستر والإحصان للنفس بشطريها.

ثانياً: إمداد المجتمع الإنساني بعوامل الإمداد والترقي بأفضل أنواع الخلق وهو الإنسان. ولهذا جعل الإسلام للأسرة المسلمة دستوراً تتلخص ملامحه فيما يلي:

أ- تنظيم الأدوار وتوضيح الخطوات لكل من الزوجين. فالقوامة للرجل بالمعروف والتدبير للمرأة بإحسان ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾[2].

ب- التوافق والتطاوع ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾[3] عن إرادة وتوجيه وحب ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[4] ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾[5] وقال صلى اللّه عليه وسلم: «خياركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي»[6].

---

(١) مسلم ٤/١٤٠، ١٤١.

(٢) النساء - ٣٤.

(٣) البقرة- ١٨٧.

(٤) النساء- ١٩.

(٥) النساء- ٢١.

(٦) أخرجه الترمذي وصححه من حديث أبي هريرة العراقي على الإحياء ٢/٤٤ ط المعرفة.

وقال: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله» وقال: «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة».

جـ- التعاون على البر والتقوى، بأن يكون كل في عون الآخر، وقد جعل الرسول صلى اللَّه عليه وسلم اللقمة يضعها الرجل في فم امرأته له بها صدقة، وحث صلى اللَّه عليه وسلم الرجل أن يكون في مهنة أهله، وقد كان صلى اللَّه عليه وسلم يخصف نعله ويرقع ثوبه.

د- تربية الأولاد وتنشئة الذرية الصالحة، وقد عدها الإمام الغزالي أول واجبات الأسرة وأحقها وأقواها، لموافقة محبة اللَّه ورسوله، والتبرك والشفاعة بدعاء الصالحين وأعمالهم»[1] وهي مسؤولية عظيمة القدر ثقيلة الأداء إلا على الصالحين، قال صلى اللَّه عليه وسلم: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته؛ الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها....»[2].

قال صلى اللَّه عليه وسلم: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول»[3] قال تعالى: ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾[4].

هـ- العفة والأدب وعدم الخيانة: فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ اللَّه «فمن طبيعة المؤمنة الصالحة، ومن صفاتها الملازمة لها بحكم إيمانها وصلاحها أن تكون حافظة لحرمة الرباط المقدس بينها وبين زوجها في غيبته وفي حضوره فلا تبيح نفسها في نظره، أو نبره- بله العرض والحرمة وما لا يباح إلا للزوج بما حفظه اللَّه من تعاليم.

و- الصبر والدأب في معالجة المشاكل الزوجية تحكيم العقل والعقلاء. ﴿وَإِنِ

(١) انظر إحياء علوم الدين ٢/٢٤ ط المعرفة بيروت.

(٢) بعض حديث متفق عليه الترغيب والترهيب ٣/٣٣١ ط الحلبي سنة ١٩٣٣.

(٣) رواه أبو داود والنسائي وعند مسلم بلفظ آخر الإحياء ٢/٣٣ ط المعرفة بيروت تخريج العرقي.

(٤) التحريم- ٦.

﴿امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾[1] وقال صلى اللّه عليه وسلم: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر»[2]، وقال صلى اللّه عليه وسلم: «من كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فإذا شهد امرأ فليتكلم بخير أو يسكت، واستوصوا بالنساء خيراً. فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه. إن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج واستوصوا بالنساء خيراً»[3].

هدف الإسلام من تنظيم الأسرة ورعايتها:

هدف الإسلام من تنظيم الأسرة ورعايتها ألا يتركها نهباً للأمراض والعلل والضياع ،وألا تكون بؤرة فساد في الحياة تخرج المنحرفين والساقطين والمدمنين، ولهذا ضبط الإسلام الأمور فيها، ووزع الاختصاصات، وحدد الواجبات، وبين الإجراءات التي تتخذ لضبط هذه المؤسسة الأسرية والمحافظة عليها من زعزعة الأهواء وعصف الخلافات، وقد شاء اللّه تعالى أن يجعل الزوجين في الإنسان شطرين للنفس الواحدة ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها**﴾[4] وأراد الحق سبحانه بالتقاء شطري النفس الواحدة أن يكون هذا اللقاء سكناً للنفس، وهدوءاً للعصب، وطمأنينة للروح، وراحة للجسد، وستراً وإحصاناً وصيانة.

أثر الأسرة المسلمة في تحقيق الأهداف الاجتماعية:

ينظر الإسلام إلى الأسرة نظرة إيجابية لما لها من تأثير فعال على أفرادها حيث يعتبرها المصدر الرئيسي للاتزان النفسي، والثبات الانفعالي لطرفيها الأساسيين

(١) النساء- ٣٤.

(٢) مسلم ١٧٨/٤.

(٣) مسلم ١٧٨/٤ مختصر صحيح مسلم رقم ٨٤٤.

(٤) رواه الترمذي وحسنه الحاكم وقال صحيح الإسناد المرجع السابق ٣٣٥/٣.

الزوج والزوجة، لأنها تهيىء لكل منهما السكينة والطمأنينة والحب في جو من التسامح والألفة والمحبة، وهذا بالطبع ينسحب على الأولاد والذرية حيث تقوم الأسرة بدور كبير في التأثير على أفرادها بما يدفعهم إلى الالتزام بمعاييرها التي تسهم كثيراً في تكوين الضبط الاجتماعي السليم، والتمسك بالأنماط السلوكية السوية الراقية.

النتائج الطبيعية لنتاج الأسرة المسلمة:

لا شك أنه ينتج عن التربية في الأسرة الإسلامية اتساق في الجوانب الإنسانية والاجتماعية والسلوكية، نستطيع أن نترجمها فيما يلي:

١ـ الضبط الأخلاقي لكل من الفرد والمجتمع وفقاً للتربية العملية في الأسرة على شريعة إلهية سامية.

٢ـ الاتزان الذاتي للفرد بين جوانبه الروحية ومطالبه المادية بعقلانية وروحانية وواقعية معاشة، ينبع ذلك من توازن في شخصية المسلم.

٣ـ التعاون المثمر البنّاء بين الأفراد، والعمل الجماعي بروح الأخوة، والمشاركة في الأهداف والغايات النبيلة.

٤ـ الشمولية والنظرة الكلية إلى المعطيات الواقعية لتحديد المبادىء العامة التي يرتكز عليها النشاط الحيوي في الحياة، ليحدث التكامل بين الفكر والواقع بطريقة منطقية فطرية.

٥ـ المتابعة المستمرة للاتجاهات النفسية عند الفرد المسلم من قبل الأسرة في ظل عقيدة خالية من الأخطاء والشوائب.

٦ـ تعويد الإنسان في الأسرة ربط النظرية بالتطبيق، حيث يرى الحب العملي والوفاء العملي والعطاء بغير حدود أو قيود.

٧ـ تعريف الإنسان وتعويده ممارسة العلاقات الاجتماعية الصحيحة والقيام بمسؤوليته ضمن نظام اجتماعي إنساني فريد.

٨ـ البعد عن الانحراف، أو قبوله نفسياً وسلوكياً للعمق الفكري والتربوي

الذي يجعل الإنسان المسلم يحمل المعرفة والتجربة الإنسانية المعاشة والمتجددة لتحديد العلاقة بين الذات العارفة والشيء المراد معرفته من حيث النفع والضر والصلاح والفساد والعاجل والآجل، والحال والمآل لهذا كانت الشخصية الإسلامية في منأى عن الانحرافات السلوكية والاجتماعية إذا استقامت على المنهج وإذا أخطأت ترجع سريعاً إلى رشدها وصدق الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[1].

رفقـــاء الســـوء:

السبب الثاني من أسباب الإدمان هو: رفقاء السوء، حيث يقوم الأصدقاء والأصحاب بدور كبير في التأثير في اتجاهات الأشخاص إلى الخير أو إلى الشر، وصدق رسول الله صلّى الله عليه وسلم القائل «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم إلى من يخالل». والبخاري ومسلم بلفظ المرء مع من أحب[2] والترمذي وأبو داود باللفظ الذي ذكرنا، بإسناد حسن.

فالصداقة تلعب دوراً كبيراً جداً في تشكيل هوية الإنسان وتحديد أنماط سلوكه فالثقة والراحة النفسية والتعاون والإحساس بروح الجماعة تشملها دوافع ومؤثرات تشكل سلوك الفرد وتحرك ميوله، ولهذا كان لجماعات السوء والانحراف دورها الخطير في توجيه الشباب إلى الانحراف وإلى تعاطي المخدرات.

فلكي يبقى الشاب عضواً في الجماعة ومنسجماً معها وحائزاً على رضاها يجب عليه أن يسايرها في عاداتها واتجاهاتها. فنجده يبدأ بتعاطي المخدرات مشاركة لهم ومسايرة لأفعالهم وخوفاً من سخريتهم وهزئهم ونفورهم واتهامهم، فهو بذلك يجد صعوبة في الجلوس وسطهم وهو على غير حالتهم، ولو حاول الامتناع لم يستمر طويلاً حتى ينحرط معهم لأجل أن يظل مقبولاً بين الأصدقاء

(١) الأعراف- ٢٠١.

(٢) البخاري ٤٦١/١٠ مسلم ٢٦٤٠ في البر والصلة، والترمذي ٢٣٧٩ وأبو داود رقم ٤٨٣٣.

ولا يفقد الاتصال بهم. وقد بيت الدراسات أن تأثير الصدقات السيئة وجماعات السوء على الأفراد قوي جداً يصل حجم تدميره إلى ٨٥٪[١].

وقد يلعب التناقض الذي يعيشه الشباب في المجتمع دوره في حلق صراعات دافعة إلى الهاوية، حيث يجد الشاب نفسه بين مشاعر قِيَم رافضة وأخرى مشجعة وعندما يلجأ إلى أصدقاء السوء يميل عنده الميزان، ويختار طريق الانحراف، وتضعف مقاومته، ويقدم على تعاطي المخدرات، مجاراة للشلة، ثم لا يلبث أن تكون له خلقاً وعادة وإدماناً لا يستطيع الفكاك منه.

والمعروف أن ظاهرة التجمع والتآلف بين الشباب من الظواهر الشرقية السائدة في المجتمعات العربية، وهذا ما نلاحظه في سرعة تجمع الشباب في الشوارع والمقاهي، والأندية والرحلات والبيوت عند الأصدقاء، وفي المناسبات، وفي العطل الرسمية، وهذه التجمعات كثيراً ما تؤثر بالإيجاب أو السلب، فالمعروف أن استحسان الجماعة ونظرتها إلى الشخص من أقوى العوامل المؤثرة على سلوك الشباب في فترة المراهقة.

وتدل إحصاءات في مصر أجريت على المدمنين فوجدت أن أكثر من ٩٠٪ بدأوا بمزاولة تعاطي المخدرات عن طريق مخالطة أصدقاء السوء والزملاء[٢].

القانون الإسلامي للمخالطة:

عنى الإسلام بالرفقة والصداقة التي تربط الإنسان بأشخاص يؤثرون فيه ويتأثرون به. فالإسلام دين تجمع وألفة وليس دين انقطاع عن الحياة في دير أو عبادة

(١) محمد عيسى برهوم ١٩٨٤ ظاهرة تعاطي المخدرات في الأردن. الباحث. العدد ٣٣٠، ٣٤. ص١٢٧، ١٤٢ (بيروت).

(٢) حسين طعمة تقرير عن علاج الإدمان على المخدرات منظمة الصحة العالمية. المكتب الإقليمي لشرق البحر المتوسط. ١٩٧٥ القاهرة.

في صومعة، وإنما هو دين حياة، شعائره العظمى مثابة يلتقي المسلمون عندها ليتعاونوا على أدائها فيتعايشوا في جوها الطاهر العظيم.

وهذا التجمع وهذه الألفة تدور على محور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والولاية في الخير، وصدق اللَّه ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ....﴾[1] ولذلك قانونه الخاص به الذي يتلخص فيما يلي:

١- التغيير للمنكر لمن يملكه أو يستطيعه والصبر على ذلك ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾[2] «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[3] المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»[4].

٢- اعتزال المنكر وأهله لمن لا يقدر على التغيير وعدم مناصرته أو الميل إليه «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه» الحديث.

٣- محاولة الإصلاح وعدم التشهير، قال صلى اللَّه عليه وسلم: «من ستر مسلماً ستره اللَّه في الدنيا والآخرة، واللَّه في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه»[5].

٤- تنبيه المؤمن إلى ما يقع فيه من أخطاء ونصحه، وستره لعيوب صديقه،

---

(١) التوبة- ٧١.

(٢) لقمان- ١٧.

(٣) أخرجه أحمد والنسائي. صحيح فيض القدير ٦/١٣٠ ط المعرفة.

(٤) رواه الترمذي وأحمد وابن ماجة بإسناد صحيح فيض القدير ٦(٢٥٥ ط المعرفة بيروت.

(٥) بعض حديث رواه مسلم رقم ٢٦٦٩ في الذكر والدعاء وأبو داود رقم ٤٩٤٦ الأدب والترمذي رقم ١٤٢٥ في الحدود.

قال صلى اللَّه عليه وسلم: «المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكف عنه ضيعته ويحوطه من ورائه»[1].

٥ـ الرأفة بالعصاة ورحمتهم وعدم سبهم أو لعنهم.

ضرب شارب خمر الحد بين يدي رسول‌اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلم وهو يعود، فقال واحد من الصحابة: لعنه اللَّه ما أكثر ما يشرب! فقال صلى اللَّه عليه وسلم: «لا تكن عوناً للشيطان على أخيك»[2] وقال الغزالي فيه إشارة إلى أن الرفق أولى من العنف والتغليظ[3].

شروط الصداقة والخلة:

الصداقة عون وميل في الطباع ومؤانسة، وصدق الرسول صلى اللَّه عليه وسلم: «الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»[4] وقد حرص الإسلام من أول الطريق أن يبين المحاسن للسائرين في دربها، فقال رسول‌اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلم: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»[5]، وقال رسول‌اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلم: «المرء مع من أحب»[6]، طبعاً ومحلاً، فهو منجذب إليه بطبعه شاء أم أبى، وكل امرىء يصبو إلى مناسبه:

(١) أخرجه أبو داود رقم ٤٩١٨ في الأدب. حسن.

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة، العراقي على الإحياء ١٧٠/٢ ط المعرفة (بيروت).

(٣) المصدر السابق ١٧٠/٢.

(٤) أخرجه مسلم عن أبي هريرة، والبخاري تعليقاً من حديث عائشة، العراقي على الأحياء ١٦١(٢ ط المعرفة.

(٥) أخرجه أبو داود ٤٨٣٣ والترمذي والترمذي وحسنه ٢٣٧٩ من حديث أبي هريرة وقال صحيح العراقي الإحياء ١٧٠/٢ ط المعرفة.

(٦) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والبخاري ٤٦١/١٠ ومسلم ٢٦٤٠ وقال الحاكم صحيح الإسناد. فيض القدير للمنادي ٦(٤٠٤) ط المعرفة.

يـقـاس المرء بـالمرء إذا مـا المرء مـاشـاه
ولـلـشـيء عـلـى الـشـيء مـقـايـيـس وأشـبـاه
ولـلـقـلـب عـلـى الـقـلـب دلـيـل حيـن تلقـاه

وبهذا يعرف كل بقرينه، فالمؤمن يميل إلى من يحمل صفات الخير، كما أن له دلالات وشروط يجب أن يراها ويتحقق منها رغم ميله إلى المصادقة أو الرفقة يدل عليها قول الرسول صلى اللّه عليه وسلم: «فلينظر أحدكم من يخالل» من هذه الشروط:

١ـ أن يكون تقياً، بعيداً عن الآثام، قال صلى اللّه عليه وسلم: «لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي»[١]، ومن ثم قيل صحبة الأخيار تورث الخير وصحبة الأشرار تورث الشر. وقال التستري: احذر صحبة ثلاثة: الجبابرة الغافلين والقراء المذهلين والصوفية الجاهلين[٢]. قال تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[٣].

٢ـ أن يكون عوناً على الصالحات: قال صلّى اللّه عليه وسلم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»[٤] «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان اللّه في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج اللّه عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره اللّه يوم القيامة»[٥].

٣ـ أن يكون ألوفاً ودوداً. قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم: «المؤمن يألف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس»[٦].

(١) ـ أبو داود رقم ٤٨٣٢ـ الترمذي ٢٣٩٧ وأحمد وابن حبان والحاكم صحيح الإسناد انظر جامع الأصول ٦٦٦/٦ ط الحلواني.
(٢) المرجع السابق ٤٠٤/٦.
(٣) الزخرف ـ ٦٧.
(٤) متفق عليه، البخاري مسلم ـ ٢٥٨٠.
(٥) أبو داود في الأدب ـ ٤٨٩٣ الترمذي ١٤٨٦ صحيح الإسناد.
(٦) رواه أحمد وقال الهيثمي رجال أحمد رجال الصحيح رواه الحاكم على شرطهما فيض القدير ٦/ ٢٥٣ المعرفة بيروت.

٤ـ أن يكون أميناً على صاحبه وأميناً على دينه، «المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب»[١].

«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[٢].

٥ـ أن يؤثر دينه وما عند اللّه على ما عند الناس، ويؤثر المؤمن على من سواه ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[٣] ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾﴾[٤].

فالصحبة لا يصلح لها كل إنسان، لأن هذه العاطفة لا بد أن يحكمها سلطان العقيدة، ولا بد للصاحب أن يتميز بخصال وصفات يرغب بسببها في صحبته لفوائدها الدينية والدنيوية.

صداقة أهداف لا صحبة إتلاف:

صداقة المؤمن رغم أنها ميل قلبي ومؤانسة نفسية فهي عون على الطاعات وعهد على تنفيذ الغايات. وجبر للعثرات، وإيثار في الملمات يعيشها المؤمن واقعاً عملياً. عن عبدالرحمن بن عوف قال: آخى الرسول صلى اللّه عليه وسلم بيني وبين سعد بن الربيع، فقال لي سعد: إني أكثر الأنصار مالاً، فأقاسمك مالي شطرين، ولي امرأتان، فانظر أيتهما شئت حتى أنزل لك عنها، فإذا حلت تزوجها، فقلت: لا حاجة لي في ذلك، دلني على السوق»[٥] الحديث وقال صلى اللّه عليه وسلم: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجل: يا رسول اللّه، أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إن كان ظالماً! كيف أنصره؟ قال: تحجزه أو تمنعه عن الظلم، فإن ذلك

(١) رواه الترمذي وابن ماجه حديث حسن. المرجع السابق ٢٥٢/٦.
(٢) رواه البخاري ومسلم المرجع السابق ٤٤٣/٦.
(٣) المجادلة ٢٢.
(٤) النجم ٢٩.
(٥) أخرجه البخاري ٢٤٧/٤، ٢٤٨ في البيوع وفي فضائل الصحابة.

نصره»[1]،وقال: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾[2] وليست صحبة المؤمن صحبة إتلاف أو إغواء أو ضياع لأن الله قد حذره من ذلك في كثير من آياته. ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[3] ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[4] ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾[5] ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[6] ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[7] هذا الحشد من الآيات الذي يبين خطر الصداقات التالفة، ويحذر منها، مع ما ذكرنا من الأحاديث في الباب، يبين مقدار ما يترسخ في ذهن المسلم من تنافر لها، كما يظهر في نفس الوقت خطر تلك الصداقات، لأن الطبع يسرق من الطبع، ولأن عدوى الأخلاق لها قانونها الذي يسري في الأخلاق كما يسري في الأجساد، وقد شوهد أن عدوى السيئات أشد تدميراً وفتكاً من عدوى الأمراض. وفي المقابل احتفى الإسلام بالصداقات النقية ورغب فيها، وربى عليها، وحصن بها. فاستحال أن يصاحب مؤمن منحرفاً، أو يتبع مدمناً، أو يصادق آثماً، أو يخالل فاجراً.

---

(١) البخاري ٥/١٠ مظالم الترمذي رقم ٢٢٥٦ في الفتن باب رقم ٦٨.

(٢) لقمان- ١٥.

(٣) الكهف- ٢٨.

(٤) الزخرف- ٦٧.

(٥) الفرقان- ٢٧- ٢٩.

(٦) الجاثية- ١٩، ٢٠.

(٧) الشعراء- ٩٧- ١٠١.

المبحث السادس
قوة الإرادة والقضاء على المخدرات

علاقة المخدرات بضعف الإرادة:

قامت اليونسكو باتخاذ خطوة ضمن جهودها لتجديد المبادىء العامة لسياسة الوقاية من استعمال المخدرات، فنظمت حلقة من ٢٨ مشاركاً، من اثني عشر قطراً في أوروبا، وكان من المشاركين من الرجال أصحاب الخبرة من مربيين وأطباء واجتماعيين وغيرهم، ممن لهم خبرة في مشكلة المخدرات، بالإضافة إلى بعض الناشئة الذين لم تكن المخدرات مشكلتهم الرئيسة، وكذلك بعض علماء الاجتماع وعلماء النفس.

وبعد بحث دقيق لعدد من الملاحظات والدراسات التي قدمها المشاركون في الحلقة، تبين أن الغالبية العظمى من مستخدمي المخدرات ليسوا مرضى عقلياً أو كسالى أو مجرمين، وإنما هم أناس من ذوي المشاكل الاجتماعية والمهنية والأسرية عجزوا عن القيام بأداء دورهم في الحياة، فاستعملوا المخدرات حتى يتواروا وراءها ومن المعروف أن مثل هذه المخدرات لا توقف نوبات الهلع أو العجز، ولكن المرضى يشعرون غالباً بشيء من تخفيف التوتر والقلق عند استعمالها، ثم يظنون أن زيادة الجرعة قليلاً قد تساعدهم بدرجة أكبر، وتمنع عنهم نوبات الهلع، وعلى ذلك نجد عند مرضى القلق الشديد والهلع دافعاً باطناً لتعاطي المزيد من هذه العقاقير المخدرة للسيطرة على المعاناة، ولكن الأمر ليس بهذه البساطة، والأصح أن هؤلاء الناس المرعوبين يزدادون سوءاً، فحين يزول أثر المخدر تحدث ردة في الأعراض ويحس

(١) الجهود الدولية لمكافحة المخدرات ص ٦٣، ومرضى القلق تأليف د. دافيد. ب شبهان ص ٨٩ ط عالم المعرفة الكويت سنة ١٩٨٨.

الشارب بزيادة قلقه وهلعه، الذي يدفعه إلى المزيد من التعاطي، حتى تحدث الكارثة المحققة[1]، فعلم من ذلك أن ضعف الإرادة سبب قوي من أسباب تعاطي المخدرات وأن هذا الضعف يؤدي إلى استعباد المشاكل للإنسان وتنغيص الحياة له، فيهرب منها في ظنه بالمخدرات التي ما تلبث أن تستعبده هي الأخرى، وتزيد عليه مشاكله وتضيف إلى همومه هموماً أخرى، وتمحق محقاً كاملاً ما تبقى له من إرادة أو هوية، فيصير عبداً ذليلاً وتابعاً مهيناً لكل شيء، وبصبح سلعة تباع: عرضاً وكرامة ومالاً وحياة، بل وجسداً ونفساً، فنرى امرأة عربية أدمنت المخدرات، فباعت نفسها ثم باعت ابنتها ثم كان مصيرها مستشفى الأمراض العقلية»[1] ونرى كثيراً من الأوروبيات والأمريكيات يبعن أنفسهن، ثم يبعن أولادهن بعد ذلك، فهل هناك دليل على فقدان للإرادة وضياع للهوية الإنسانية والاستعباد والضلال والانحراف أكثر من ذلك؟!!.

هل الحل في تربية الإرادة وإحياء القِيَم العليا:

يعرف كثير من الساسة والباحثين أن الحل لأزمة المخدرات، ليس هو الذهاب إلى المصحات، وليس هو العقوبات الرادعة. كما يعرفون تماماً أن علاجها يظل على هذا مستحيلاً، لأنها ما زالت تعالج بقوانين ولوائح وقرارات ومراسيم.

وإنما يكمن الحل الحقيقي في أعماق كل فرد، في قناعاته، في إرادته، في قيمه التي يتمسك بها، في المثل العليا التي يستنير بها وتكون جزءًا من كيانه، يعترف بهذا الساسة والباحثون والمتخصصون.

يقول الرئيس الأمريكي جورج بوش في المقابلة التلفزيونية بينه وبين منافسه على الرئاسة الأمريكية، حل مشكلة المخدرات وكيفية حلها: «إن حاجة البلاد ماسة إلى إحياء القيم الرفيعة في نفوس الجيل الجديد بخاصة، ولا سيما في المدارس

(١) الأنباء الكويتية ١٩٨٨/١١/٢٦.

والجامعات، ولم يختلف معه منافسه على الرئاسة دوكاكيس في ذلك[1]. ويقول مستر دالاس وزير خارجية أمريكا الأسبق في كتابه «حرب أم سلام» وفي فصل بعنوان «حاجتنا الروحية»: «إن هناك شيئاً ما يسري بشكل خاطىء في أمتنا، وإلا لما أصبحنا في هذا الحرج، وفي هذه الحالة النفسية لا يجدر بنا أن نأخذ موقفاً دفاعياً، وأن يتملكنا الذعر، إن الأمر لا يتعلق بالماديات، فلدينا أعظم إنتاج عالمي في الأشياء المادية، وإن ما ينقصنا هو إيمان صحيح قوي، فبدونه يكون كل ما لدينا قليل في مواجهة المشاكل والأخطار، وهذا النقص لا يعوضه السياسيون مهما بلغت قدرتهم، أو الدبلوماسيون مهما كانت فطنتهم، أو العلماء مهما كثرت اختراعاتهم، أو القنابل مهما بلغت قوتها»[2] نعم كل هؤلاء وغيرهم ينادون بالقيم، بالإيمان، بالمخلص المتسامي والمرتفع عن فساد تلك الحضارة، ينادون المنقذ الذي ليس هناك غيره ولا في الساحة سواه، ولكن لماذا الإيمان؟ ولماذا القيم؟ ولماذا العقائد؟.

لأن الإنسان بدون ذلك ضائع فارغ ذليل لا وزن له تتقاسمه الأهواء وتستولي عليه الشياطين، وصدق الله: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[3] ولأن المنهج الإيماني يتسامى بالإنسان ويرتفع، ويصفو ويعلو إلى الاستمداد من الوحي ومن الأنوار القدسية، ولأن كل هذا التسامي والعلو يشكل له الإرادة الدافعة المهيمنة المسيطرة والتي تتأبى على كل باطل وتسفل وانحطاط.

الإسلام وتربية الإرادة:

ليس هناك أي قوى على وجه الأرض تستطيع أن تربي إرادة الإنسان أو تغذيها مثل الإسلام، الذي يطهر بتعاليمه وتوجيهاته وأساليبه النفس الإنسانية من

(١) الرأي العام الكويتية ١٩٨٨/١٢/٤.

(٢) انظر المستقبل لهذا الدين ص ٨٢ ط بيروت الرسالة، عن كتاب حرب أم سلام.

(٣) الزخرف ٣٦.

كل تدني ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾[1].

كما أن البعد عن منهج اللَّه أو محاربة تعاليمه، يعتبر جريمة في حق الإنسانية لأنه تدن وهبوط عن المستوى البشري إلى الدرك الحيواني، والمحيط الاستعبادي، ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾[2].

تمـــارين القـــوة:

طبيعة الإيمان إذا تغلغل واستمكن في النفوس فإنه يضفي على صاحبه قوة تنطبع في سلوكه، ولهذا فإن الإسلام يحض المسلم على التمرد على العرف الفاسد والعادة الغالبة المستعبدة، قال صلى اللَّه عليه وسلم: «لا يكن أحدكم إمعة، يقول: أنا مع الناس، إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم»[3] كما يحض المسلم على التماسك والتعاظم أمام الباطل والتعالي عليه بالقِيَم الحقيقية التي هي موازين الرقي الحقيقية في الحياة. ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾[4] ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾[5] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾[6].

ولا شك أن بعث القوى الكامنة في النفس الإنسانية يفعل الكثير في العزائم

---

(١) يونس- ٢٦.

(٢) يونس- ٢٧.

(٣) أخرجه الترمذي رقم ٢٠٠٨ في البر وقال حديث حسن. وانظر جامع الأصول ص ١٩٩.

(٤) آل عمران- ١٣٨- ١٣٩.

(٥) الأنفال- ٦٥.

(٦) آل عمران- ٢٠٠.

وفي الأعمال والأفعال، وفي الإحساس بالصواب والخطأ، كما يلزم لهذه القوى الكامنة تمارين وتدريبات، حتى يتكون لها عضلات وأعصاب تقاوم بها المنكر ويكون ذلك لها عادة تستعذب في سبيلها كل كفاح وجهد، حتى ترتقي إلى درجات ودرجات، قال صلى الله عليه وسلم: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»[1].

لا دين بغير إرادة:

تتنافر الأديان مع الكسالى والمهزومين نفسياً واجتماعياً وخلقياً، لأنه لا يرقى إلى عزة التعاليم إلا أصحاب الهمم العالية، ولا يستحق العزة الإيمانية إلا صنف يعرف مقدار تلك العزة وقيمة هذا التكريم، الذي قرره الله في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2] ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[3] فلا بد لمن يسير في طريق الإيمان أن يأخذ بالتعاليم، يكون عند حدودها، فتكون له خلقاً وسيرة وأسلوب حياة، ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[4] ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾[5] ولقد حاولت أقوام من قديم ويحاول غيرهم اليوم أن يتعايشوا مع المناهج الإلهية بنفسية موبوأة وسيرة ملوثة، فرفضتهم تلك المناهج وركلتهم، لأنه لا قيمة لقول بلا عمل، ولا لدعوى بدون دليل. ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ

(١) أخرجه مسلم ٢٦٦٤، ٥٦/٨ باب الأمر بالقوة وترك العجز.

(٢) المنافقون- ٨.

(٣) فاطر- ١٠.

(٤) مريم- ٢٢.

(٥) التكوير- ٢٠.

وَٱسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾[1] ومن هذا المنطلق عاب الإسلام أصنافاً فقدوا الإرادة والقدرة على الكفاح منهم:

١ـ القاعدون: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾[2].

٢ـ المتثاقلون: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾[3].

٣ـ المتباطئون: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾﴾[4].

٤ـ المترفون: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾[5].

٥ـ اليائسون: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾[6].

هؤلاء الأصناف وغيرها ممن فقدوا الإرادة، يتعامل الإسلام معهم على أنهم مرضى يحذر منهم ويكشف عللهم وينبه عليها ويتنافر منها.

---

(١) البقرة- ٩٣.

(٢) آل عمران- ١٦٨.

(٣) التوبة- ٣٨.

(٤) النساء- ٧٢.

(٥) التوبة- ٨٧.

(٦) آل عمران- ١٥٤.

اختبـــارات الإرادة:

اختبار الإرادات بالصراع والصبر يهب النفوس قوة، ويرفعها على ذواتها ويعطي الإنسان قدرة وحيوية، يستطيع بها حمل الأمانة ويكون أهلاً لها، فلا تزعزعهم الشدائد أو ترهبهم القوى، أو يهنون تحت مطارق المحن والفتن، وهذا الاختبار للإرادات لا بد منه لأصحاب الإيمان حتى يمتاز الخبيث المهين من الطيب الكريم، وحتى يتضح الأمر ويستبين على رؤوس الأشهاد، فلا يكون هناك غبش في الرؤية أو الاعتقاد وصدق اللَّه: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴾[1] ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[2] هكذا خوطبت الجماعة المسلمة، وهكذا وجهها القرآن إلى تجارب الجماعات المؤمنة قبلها، والاختبارات تتعدد وتتنوع، ولكن كلها تكون على طريق الصواب. وفي مدافعة الضعف البشري أمام الأزمات وأمام الكوارث من كل نوع ولون أمام فساد المجتمع، أمام التضييق في العيش أمام نقص الأموال والأولاد.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[3] إنها التربية للنفوس واختبار الإرادات كي لا تطير شعاعاً في كل نازلة أو تذهب حسرة في كل فاجعة، أو تنهار جزعاً أمام الشدة من أي نوع ولون، كان لا بد أن تُهيأ لمشاق الطريق في الحياة، وهي تسير بين مغريات ومهلكات.

وسارت النفوس المؤمنة وتزودت بزاد التقوى فاشتد عودها وقويت إرادتها وعزائمها وقهرت كل عدو داخلي أو خارجي، نفسي أو اجتماعي ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝١٧٣

(١) محمد- ٣١.

(٢) العنكبوت - ٢ - ٣.

(٣) البقرة- ١٥٥.

فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾[1] ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾[2].

وهكذا نجد الإرادة الإيمانية المنتصرة، ونجد عزائم الرجال تقف عند تعاليم اللّه وأوامره لا تحيد ولا تلين، ولا تزيدها الأيام والحوادث إلا قوة وصلابة وعزماً.

تدريب الإرادة الإسلامية للتخلص من الإدمان:

نرى في إعجاب كيف درب الإسلام الفرد المسلم وقوى إرادته حتى يتخلص من الإدمان على الخمر، فالإسلام لم يحرم الخمر والميسر فجأة، ولكن التحريم جاء في القرآن الكريم بالتدريج، وفي سور مختلفة أدت إلى تغيير اتجاهات المسلمين نحو هذه الأمور في البداية، ثم عدلت مسلكهم بخصوصها فيما بعد. وهذا الأسلوب هو ما يعرف بالتشكيل عن طريق الخطوات المتتالية في العلاج المسلكي. فنجد في سورة النحل ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾[3] (٦٧/١٧) سورة النحل مكية ولم يأت التحريم إلا في المدينة المنورة. مضمون الآية لا يوحي بالتحريم، ولكنه يلفت نظر المسلمين إلى ما يستخرج من ثمرات النخيل والأعناب. والمعروف بين المعالجين المسلكين أن تعديل سلوك غير مرغوب لا يبدأ بالزجر أو التنفير، بل بتركيز ذهن المريض على المسلك نفسه، دون مدح أو ذم. وهذا ما جاء في الآية الكريمة التي قررت واقعاً وهيأت الخلفية النفسية الحيادية للخطوات التالية.

نأتي إلى الآية ٢١٩ من سورة البقرة (١٢) ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ

(١) آل عمران- ١٧٤.
(٢) الأحزاب- ٢٢ - ٢٣.
(٣) النحل ٦٧/١٧ .

﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾[1] لا يسع أي معالج مسلكي يتأمل هذه الآية إلا أن ينبهر بما جاء فيها، فنادراً ما نجد مثالاً للدعم النوعي بهذا الأسلوب الرائع إلا في كتب العلاج المسلكي المعاصرة. فعبارة ﴿**فيهما إثم كبير**﴾ تتضمن العقاب بمعناه الفني أو الدعم السلبي، إذ أن الميل إلى الخمر والميسر مقرون بالإثم الكبير مباشرة في الآية، والاتجاه المطلوب هو النفور منها. فلا يسع المسلم الذي يسمع هذه الآية إلا أن يبتعد عن الخمر والميسر، حتى يرفع عن نفسه صفة الإثم وما يقترن بها.

ولو طبقت قوانين الدعم على الآية يتضح لنا الآتي:

إن الدعم الذي يلي السلوك مباشرة والذي يطبق بصورة متقطعة أو نوعية، وبكثافة كبيرة، يؤدي إلى تقوية السلوك أو الاتجاه المرغوب، وهو هنا البعد عن الخمر والميسر، لذلك جاءت ﴿**فيهما إثم كبير**﴾ بعد الخمر والميسر مباشرة، والعبارة شديدة وقاسية إذا ما قارنتها بعبارة ﴿**فيها منافع للناس**﴾ اللينة والأبعد في الترتيب عن كلمتي الخمر والميسر ثم نجد العبارة الأخيرة ﴿**وإثمهما أكبر من نفعهما**﴾ في آخر الآية، فالآية الكريمة مستوفية لكل شروط الدعم الفعال، مصنفة الإثم الكبير تلي الاتجاه المطلوب تعديله، وقد صيغت بشكل يكثف سلبية الدعم، ولكن لم تستمر الآية في تكرار صفة الإثم، بل اعترض ذلك ﴿**منافع للناس**﴾ وهو دعم إيجابي لكنه أضعف من السلبي لأنه مفصول زمنياً عن الخمر والميسر في الآية، كما أن صياغته مخففة، وليست قوية وشديدة مثل العبارة الخاصة بالإثم. وهذا ما يسمى بالدعم النوعي، بمعنى اننا ندعم بقوة سلوكاً أو اتجاهاً، ولا ندعم أو ندعم بضعف، سلوكاً آخر غير مرغوب فيقوى السلوك أو الاتجاه الأول ويصبح أكثر ثباتاً.

ننتهي من ذلك كله إلى أن الآية أظهرت تطبيقات قوانين الدعم- التي اكتشفها العلم لاحقاً- بصورة معجزة في تشكيل اتجاهات المسلمين بعيداً عن الخمر والميسر، ثم تأتي الخطوة التي تليها في التشكيل، فنجد في سورة النساء ﴿**يا أيها**

(١) البقرة - ٢١٩ .

الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾ (٤٣/٤) (١٣) ونلاحظ هنا نقطتين:

الأولى: أن الصلاة دعم إيجابي لأنها تعني رضا الخالق سبحانه وتعالى عن العبد وتقبله من المسلمين الآخرين.

الثانية: أن السلوك المطلوب هو عدم السكر قبل الصلاة، وإن كان تحريم شرب الخمر في غير أوقات الصلاة، غير منصوص عليه في الآية.

والمسلم الذي يتبع ما جاء في الآية يقلل من شرب الخمر تدريجاً حتى يكف عن شربها قبل الصلاة، ليعود إليها إن أراد بعد الصلاة، وحتى الصلاة التالية، وهكذا ولما كانت الصلوات خمساً نجد أن المسلم كان مضطراً إلى مراقبة كمية الخمر التي يشربها، فأصبح المسلم بذلك يخضع لبرنامج دعم خاص، أو ما يسمى (برنامج الفترات الثابتة) إضافة إلى مراقبة الذات واختبار أساليب الدعم المناسبة وهي الصلاة في هذه الحالة. والعبرة في كل ذلك عدم الكف عن شرب الخمر فجأة تجنباً للآثار الطبية الخطيرة التي تحدث عند الانقطاع المفاجيء عن الخمر.

أما الخطوة الأخيرة في التشكيل فوردت في سورة المائدة **﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾** (٩٠/٥).

اقترنت الخمر والميسر والممارسات الوثنية «بالرجس» و«عمل الشيطان«وبأمر صريح بالاجتناب. فالدعم السلبي هنا «الرجس» و«عمل الشيطان«الذي يزول بالبعد عن الخمر والميسر، والأشياء الأخرى التي وردت في الآية. والسلوك المطلوب تعلم تكراره هو البعد عن هذه الأمور. من هنا نرى كيف اتبع التشكيل في القرآن الكريم بشكل رائع لتغيير سلوك المسلمين تجاه الخمر[1].

(١) انظر في ذلك الطب الإسلامي، بحوث وأعمال المؤتمر العالمي الثاني والثالث مارس سنة ١٩٨٢ واكتوبر سنة ١٩٨٤ أبحاث الدكتور المهدي بن عبود، والدكتور عادل السبكي، والدكتور عمر شاهين، والدكتور عماد الدين الفضل تحت عنوان القلق والإدمان، والإسلام والعلاج المسلكي.

انتصار الإرادة الإسلاميـة:

لم يبدأ الإسلام في علاج رذائل الجاهلية وانحرافاتها بالأوامر والقوانين واللوائح وإنما بدأ بإرساء قواعد العقيدة الصحيحة، وتربية الإرادة القوية القادرة، ثم جاءت بعد ذلك الأوامر والنواهي، بعد أن أصبح المسلم طوع عقيدته وملك إرادته وإيمانه، ولم يعد يفكر في أن يكون هناك إلى جانب أمر اللَّه رأي واختيار. إن غيبوبة المخدرات ما هي في حقيقتها إلا هروب من واقع الحياة في فترة من الفترات لضعف الإرادة، والجنوح إلى أحلام اليقظة وأوهام التصورات التي تثيرها الخمور والمخدرات.

والإسلام ينكر على الإنسان هذا الطريق ويريد من الناس أن يروا الحقائق وأن يواجهوها، ويعيشوا فيها، ويعرفوا حياتهم وفقها، ولا يقيموا هذه الحياة على الخدع والأوهام.

إن مواجهة الحقائق هي محك العزيمة والإرادة، أما الهروب منها إلى تصورات وأوهام فهو طريق التحلل، ووهن العزيمة وتذاوب الإرادة، والإسلام يجعل في حسابه دائماً تربية الإرادة، وإطلاقها من قيود العادة القاهرة والإدمان المستعبد الماحق، وهذا الاعتبار كاف وحده من وجه النظر الإسلامية لتحريم الخمر وتحريم سائر المخدرات، وهي رجس من عمل الشيطان، مفسد للحياة وللإنسان جسداً وروحاً وإرادة وطاقة.

ولقد كان انتصار إرادة المسلمين رائعاً ومبهراً حين نزل تحريم الخمر في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[1].

(١) المائدة ـ ٩٠.

كان انتصار إرادة المسلمين مبهراً حين امتنعوا عنها وقالوا، انتهينا انتهينا، كان انتصاراً رائعاً لأن الخمر في المجتمع الجاهلي كانت غائرة الجذور عميقة السمات كانت من معالم المجتمع الجاهلي ومن التقاليد المتغلغلة فيه، وكانت من مفاخرهم التي يتسابقون إليها في مجالسهم، يذبحون عليها، ويقيمون عليها مناسباتهم، ويتغنون بها في إشعارهم ومدائحهم. كانت متشابكة مع طبيعتهم وتقاليدهم الاجتماعية وعادتهم فضلاً عن إدمانهم لها وصعوبة الإقلاع عنها، ومع هذا نبذت وكرهت وصارت رجساً من عمل الشيطان، وتبين للناس فساد تصورهم الجاهلي عن الحياة وعن القيم.

حجم هذا الانتصار وعمقه:

يظهر حجم هذا الانتصار وعمقه بشيئين:

الأول: بالانتصار على الإدمان رغم تغلغل العادة وشيوعها وعدها من المفاخر.

الثاني: بمطالبة المدمنين أنفسهم، رغم عدم وجود قانون يحرم، أو شرع يمنع بمنع الخمر وتحريمها.

لقد كان عمر بن الخطاب ـ رضوان اللّه عليه ـ رجل خمر في الجاهلية، كما حكى ذلك عن نفسه، ولكنه بعد الإسلام وبعد وقوفه على تعاليم المنهج وتبعاته تطلعت نفسه وتهيأت تهيؤاً كاملاً للتخلص من هذه الخبائث.

عن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه أنه قال: اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت التي في البقرة ﴿**يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما**﴾ الآية فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: «اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت التي في النساء ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون**﴾ فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت التي في المائدة ﴿**إنما الخمر والميسر**

والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾ فدعى عمر فقرئت عليه، فقال: انتهينا، انتهينا»[1]، لما نزلت آية التحريم هذه في سنة ثلاث بعد واقعة أُحد لم يحتج الأمر إلى أكثر من مناد في نوادي المدينة «ألا أيها القوم، إن الخمر قد حرمت» فمن كان في يده كأس حطمها، ومن كان في فمه جرعة مجها، وشقت دنان الخمر وكسرت قنانيها، وانتهى الأمر كأن لم يكن سكر ولا خمر، ولا إدمان، ولا عادة مستحكمة.

عن أنس بن مالك قال: كنت ساقي القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلحة وما شرابهن إلا الفضيخ البسر والتمر، فإذا مناد ينادي، قال: اخرج فانظر، فإذا مناد ينادي ألا أن الخمر قد حرمت، فجرت في سكك المدينة، فقال لي أبو طلحة، اخرج فأرقها، قال: فهرقتها» وفي رواية فقالوا: يا أنس، اسكب ما بقي في إنائك، فوالله ما عادوا فيها، وما هي إلا التمر والبسر» وهي خمرهم يومئذ»[2].

انتصرت الإرادة على الجاهلية وعلى الإدمان وعلى كل عادة خبيثة، وصارت تلك الإرادة تابعة لحكم الله وتعاليم المنهج ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[3].

نجاح الإرادات وإخفاق الشهوات:

رأينا هذا النموذج الرائع الذي ما زال يدرس في الغرب حتى الآن، رأيناه يشفي الأمم والشعوب من عللها وأمراضها المتوطنة، رأيناه كيف يربي الإرادة

(١) أخرجه الترمذي رقم ٣٠٥٣ في التفسير، وأبو داود رقم ٣٦٧٠ في الأشربة والنسائي ٢٨٦/٨، ٨٧ وأحمد رقم ٣٧٨ بإسناد حسن.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره أخرجاه في الصحيحين ٩٣/٢ ط دار المعرفة بيروت.

(٣) الأحزاب- ٣٦.

المنتصرة الواعدة، رأيناه طالب - وبغير قانون يفرض أو سلطة تتوعد - بالخلاص النفسي والجسدي من عادة الإدمان الخبيثة، رأينا صحته النفسية والخلقية والإرادية، ثم نرى مثالاً آخر من أمثلة الانحدار في الحضارة الحديثة انحدار الشهوات، انحدار السلوكيات انحدار الإرادات. في الأفراد وفي الأمم والشعوب، لقد حاولت أمريكا منع الخمر والإدمان وأنفقت ما أنفقت من الجهد والمال والدعاية ما يعجز عنه غيرها ولكن ماذا كان؟ ننظر إلى هذا التقرير ثم نحكم على هذه التجربة.

طاردت أمريكا الخمر في بلادها، واستعملت جميع وسائل المدنية الحاضرة في منعها، كالمجلات والجرائد والمحاضرات، والصور، والسينما، وتهجين شربها وبيان مضارها ومفاسدها. ويقدرون ما أنفقته الدولة في الدعاية ضد الخمر بما يزيد على ٦٠ مليون دولار، وأن ما نشرته في الكتب والنشرات يشتمل على ١٠ بلايين صفحة، وما تحملته في سبيل تنفيذ القانون لتحريم الخمر في مدة أربعة عشر عاماً لا يقل ٤٥٠ مليون دولار، وقد أعدم فيها ٣٠٠ نفساً، وسجن ٥٣٢٣٣٥ نفساً وبلغت الغرامات ٣٢ مليون دولار وصادرت من الأملاك ما يبلغ ٨٠٠ مليوناً وثمانية ملايين دولاراً.

ولكن كل ذلك لم يزد الأمة الأمريكية والفرد الأمريكي إلا غراماً بالخمر وعناداً في تعاطيها، حتى اضطرت الحكومة سنة ١٩٣٣ إلى سحب القانون وإباحة الخمر في ولاياتها إباحة مطلقة[١].

هذا، ويرى المراقبون اليوم قياساً على الخمر وتجربته، ان نهم الإقبال على الهيروين والمخدرات من الشباب الغربي، وإخفاق الإدارات والحكومات في محاربته محاربة فعالة سينتهي به الأمر في نهاية المطاف إلى الإباحة في القريب العاجل، تبعاً لضغط أصحاب الأمزجة والمستفيدين مادياً من انتشار هذا الوباء ولو على حساب

(١) انظر في ذلك ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للندوي ص ٩١ د دار القلم سنة ١٩٧٠ عن كتاب تنقيحات للأستاذ أبي الأعلى المودودي.

الملايين من البشر، كما أبيحت كثير من الأشياء الضارة، كالخمر والجنس والشذوذ وغير ذلك من المهلكات.

وإلى هنا نستطيع أن نقول: أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً، وأيهما القادر على صيانة الإنسانية وسعادتها وإنقاذها مما يحدق بها من أخطار ماحقة؟ إن البشرية اليوم في حاجة ملحة إلى منهج الإسلام وتعاليمه، لأنه رصيد الفطرة الخيرة المعطاءة، وهو رصيد ضخم هائل سامق، يحتاج إلى لفتة من الغيورين المخلصين، حتى تسمو الإنسانية به وتسعد وترتاح.

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبعة
١ الاتجار بالمخدرات وأثره على الأمن القومي		الندوة الدولية العربية للدفاع جامعة الدول العربية ١٩٧١
٢ احياء علوم الدين	محمد نيازي حثانة الغزالي	دار صادر بيروت
٣ ادمان المخدرات أضرارها وعلاجها	محمد رفعت	دار المعرفة بيروت ١٩٨٠
٤ الادمان مظاهره وعلاجه	د. عادل الدمرداش	عالم المعرفة الكويت ١٩٨٢
٥ أسس علم الاجتماع	د. حسين شحاتة	دار النهضة مصر ١٩٦٠ الطبعة الخامسة
٦ الاسلام وحاجة الانسانية إليه	د. محمد يوسف موسى	مكتبة الفلاح الكويت ١٩٨٧
٧ الاسلام والمستقبل	جملة من الكتاب	وزارة الاعلام الكويتية ١٩٨٧
٨ أطفالنا وحاجتهم النفسية (كتاب اليوم الطبي)	كلير فهيم	القاهرة ١٩٨٣
٩ انحراف الصغار	سعد المغربي	دار المعارف بمصر ١٩٦٠
١٠ البحر المحيط	أبي حيان	مكتبة النصر الحديثة
١١ بحوث وأعمال المؤتمر العالمي الثاني والثالث للطب الاسلامي	وزارة الصحة بالكويت	وزارة الصحة الطب الاسلامي
١٢ الجامع الكبير أو جمع الجوامع	السيوطي	الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٧٨
١٣ جريدة الشرق الأوسط	الكويت	١٩٨٧/٧/٨
١٤ مجلة العربي		العدد ١٢٦ ـ الاعلام الكويت
١٥ الجهود الدولية في مكافحة المخدرات	عبد الله الفرحان	الكويت وزارة الداخلية
١٦ حرب أم سلام	دالاس	أمريكا
١٧ الحضارة الاسلامية مقارنة بالحضارة الغربية	د. توفيق الواعي	دار الوفاء ـ مصر ١٩٨٧
١٨ الخمر والادمان الكحولي	نبيل صبحي الطويل	مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٠
١٩ دستور الأخلاق في القرآن	د. محمد عبد الله دراز	مؤسسة الرسالة
٢٠ زهرة العريش في تحريم الحشيش	بدر الدين الزركش	دار الوفاء ـ مصر
٢١ سبل السلام	محمد بن اسماعيل الصنعاني	إحياء التراث

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبعة
٢٢ سبيل الدعوة الاسلامية للوقاية من المخدرات	جمعة الخولي	المجلة ـ الجامعة الاسلامية السعودية السنة ١٤ ـ العدد ٥٤
٢٣ السنن لابن ماجة	تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي	دار احياء الكتب العربية ١٣٧٣ ـ ١٩٥٢
٢٤ سنن أبي داوود		شركة الطباعة الفنية المتحدة القاهرة ١٣٨٤ ـ ١٩٦٤
٢٥ سنن الترمذي	تحقيق محمد احمد شاكر	مطبعة الحلبي القاهرة ١٣٥٦ ـ ١٩٣٧
٢٦ السياسة الشرعية	ابن تيمية	دار المعرفة
٢٧ سيكولوجية العلاقات الاجتماعية	د. ماهر محمود	المعرفة الجامعية ـ الاسكندرية
٢٨ الشباب العربي والمشكلات	عزت حجازي	عالم المعرفة ـ الكويت
٢٩ الشخصية بين النجاح والفشل	عباس مهدي البلداوي	مطبعة الزهراء ـ بغداد ١٩٧٢
٣٠ شرح السنة للبغوي،	محمد الحسين البغوي	المكتب الاسلامي
٣١ صحيح البخاري، فتح الباري	ابن حجر العسقلاني	طبعة السلفية ، القاهرة
٣٢ صحيح مسلم شرح النووي		المطبعة المصرية ومكتبتها
٣٣ الطب الاسلامي	المؤتمر العالمي الثاني	وزارة الصحة الكويتية، ١٩٨٢
٣٤ الطب الاسلامي	المؤتمر العالمي الثالث	دار السلسل، الكويت ١٩٨٤
٣٥ ظاهرة استنشاق الغاز	دز ناصر ثابت	دار السلاسل، الكويت، ١٩٨٤
٣٦ ظاهرة تعاطي الحشيش	سعد المغربي	دار المعارف، مصر، ١٩٦٣
٣٧ ظاهرة تعاطي الخمور والمخدرات	عبد الرحمن مصيقر	البحرين، ١٩٨١
٣٨ عقول المستقبل	جون ج. تايلور	عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٥
٣٩ العلاج النفسي الحديث	د. عبد الستار ابراهيم	عالم المعرفة، الكويت ١٩٨٠
٤٠ علم النفس التربوي	د. عبد المجيد عبد الرحيم	مكتبة لنهضة المصرية ١٩٨١
٤١ علم النفس في حياتنا اليومية	د. محمد عثمان نجاتي	دار النهضة العربية، القاهرة الطبعة الخامسة، ١٩٦٦
٤٢ العلوم السلوكية	د. سيد خير الله	عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٤
٤٣ الفروق	القرافي (المالكي)	عيسى الحلبي، القاهرة
٤٤ فتح القدير شرح الجامع الصغير	المناوي	دار المعرفة، بيروت،١٩٧٢
٤٥ كنز العمال في سنن الأقوال	البرهان فوري	مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبعة
٤٦ الكويت والجهود الدولية لمكافحة المخدرات	عبد الله سعيد فرحان	وزارة الداخلية، الكتب، ١٩٨٥
٤٧ لم العقل؟	برجن إيفانز ترجمة	بيروت
٤٨ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين	أبو الحسن الندوي	دار القلم. ١٩٧٠
٤٩ مجلة البحوث الاجتماعية والجنائية		عدد ١ السنة الثانية
٥٠ مجلة سيدتي		عدد ٢٠٥، ١٩٨٨/١٢/٢الكويت
٥١ المخدرات الاستعمار والرجعية	حسن فتح الباب وسمير عياد	المؤسسة العربية المصرية العامة للتأليف ١٩٧٦
٥٢ المخدرات من القلق الى الاستبداد	د. محمد محمود الهواري	كتاب الأمة، قطر، ١٩٨٧
٥٣ مدخل الى العلوم السلوكية	د. سهير خير الله	عالم الكتب، ط اثانية، ١٩٧٤
٥٤ مرض القلق	د. دافيدز ف. شبهان	عالم المعرفة، الكويت ١٩٨٨
٥٥ المستقبل لهذا الدين	سيد قطب	دار القلم
٥٦ المسكرات اضرارها واحكامها	فرج زهران	دار مصر للطباعة القاهرة ١٩٨٣
٥٧ المسكرات والمخدرات	المستشار عزت حسنين	مكتبة القاهرة الطبعة الأولى
٥٨ مسند الامام حمد	احمد بن حنبل الشيباني	المكتب الاسلامي بيروت ط ١ ١٣٨٢ - ١٩٦٢
٥٩ المصنف لابن أبي شيبة	ابو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني	مطبعة العلوم الشرقية الهند ١٣٨٨ - ١٩٦٨
٦٠ المعجم الوجيز	مجمد اللغة العربية	مجمع اللغة العربية القاهرة
٦١ وقت الفراغ في المجتمع الحديث	محمد علي محمد	دار المعارف الجامعية الاسكندرية ١٩٨١

فهرس

١) تأويل آية النساء ١٧

د. أحمد حسن فرحات

٢) هبة الآباء لأبنائهم ٥٥

د. إيناس عباس ابراهيم

٣) الاسلام والتراث ١١٧

د. عجيل جاسم النشمي

٤) دفاع عن حديث «خلق الله التربة» ١٨٣

د. سعد محمد الشيخ «المرصفي»

٥) نحو مجتمع بلا ادمان ولا مخدرات ـ الاسلام هو الحل ٢٥٩

د. توفيق يوسف الواعي